

الجزء الثالث

قضايا خاصة حول خلق الحوافز

obeikandi.com

الفصل الحادي عشر

بناء علاقة حسنة مع ابنك

أود هنا التدخل في شؤونك الخاصة لأقترح عليك أمراً يحتل أهمية قصوى في تحفيز طفلك وهو أن تعمل على بناء علاقة حسنة معه. وستجد أن تطبيق الاستراتيجية الواردة في هذا الكتاب يصبح أمراً أكثر سهولة إن كانت علاقتك مع ابنك جيدة.

ماذا تفعل إن لم تكن هذه العلاقة بدرجة كافية من الجودة؟ لا تقلق، إذ إن مجرد تحسين بسيط في هذه العلاقة يمكنه أن يترك أثراً كبيراً في دفع ابنك للمشاركة بجدية في الأعمال المدرسية. وسيتبين لك كذلك أن قدرتك على تطبيق الاستراتيجيات الواردة في هذا الكتاب ستتعزيز لدى تحسن تلك العلاقة. تذكر أننا لا نشد الكمال، بل نريد بعض التحولات الإيجابية وبعض التحسينات.

لا بد لي من قول الحقيقة بكل صراحة: ليس هناك من يمكن لنا أن نصفه بالأب

الكامل أو الأم الكاملة. فإن استطعت إحداث تحول إيجابي في علاقتك مع ابنك فسيكون هذا أمراً عظيماً. بعض العلاقات قد تتحسن أكثر من غيرها دونما شك. غير أنه مهما كان هذا التحول صغيراً فإنه يمثل خطوة إلى الأمام. فإن تمكن نتيجة لذلك من الاستمرار في المدرسة (وكان قبل ذلك ينوي تركها) فإنك تكون قد أدت بذلك

مهمة لا يستهان بها. وقد يبدي ابنك بعد ذلك تجاوباً في أمور أخرى مهمة في المستقبل، بل وقد يحقق مكاسب أكبر.



ما هو السر الذي يكمن وراء العلاقة الحسنة؟ ليس هنالك سر في الواقع، وقد أظهرت الأبحاث أن هنالك بعض الخصائص والسمات التي تصنع العلاقة الحسنة وتميزها عن تلك التي لا تكون بمثل تلك الجودة. وتشمل هذه الخصائص أنماط سلوك ومواقف محددة، علماً بأنني بيّنت مراراً بأن من الممكن تغيير أنماط السلوك والمواقف.

العلاقة الحسنة هي القاعدة الراسخة لخلق الحوافز

قد تقول لنفسك من هذا الذي يسمح لنفسه بالتدخل في شؤوني الخاصة ليطلب مني تحسين علاقتي مع ابني؟ حسناً، أنا أب أيضاً. غير أنني لن أخطبك بوصفي أباً. وعلاوة على ذلك، وبما أنه ليس هنالك أب/ أم كامل الأوصاف فقد أنقل إليك البعض من ممارساتي غير الفعالة والتي لن تكون ذات عون لك.

ولذا فإنني سأبني ما أذكره في هذا الفصل بدلاً من ذلك على ما أجرّيته وأجراه آخرون غيري من أبحاث.

عملت خلال السنوات القليلة الماضية على مشاريع أبحاث قليلة تتعلق بالآباء وذلك لصالح مؤسسات حكومية وأخرى غير حكومية. وقد تقصيت في هذه الأبحاث الأساليب التي يستخدمها الآباء، وكذلك مدى ثقتهم ومعرفتهم بأساليب التربية الصحيحة، وحول سلوك الأطفال وكيفية تعامل الآباء معه وبرامج توجيه الآباء/ الأمهات التي تقدمها السلطات الرسمية ومنظمات الخدمة الاجتماعية.

قد يسرّك أن تعرف بأن هذا البحث (وعددًا لا يحصى سبقتَه) يبين أن الأبوة ليست بالضرورة مهارة بديهية بل هي مهمة شاقة تتطلب الكثير من الجهد. بالنسبة لمعظم الناس يحتاج الآباء بين وقت وآخر للمساندة وللحصول على معلومات تساعد على الارتقاء بما يفعلون من أجل أبنائهم. كما بينت الأبحاث أن لدى الآباء نقاط قوة يمكن البناء عليها لتحسين أدائهم كأباء، وأن من الممكن للناس أن يتعلموا أساليب واستراتيجيات أكثر فعالية تساعد في أداء هذه المهمة.

أجريت كذلك الكثير من الأبحاث بين طلاب المدارس، وعندما أُستفسر منهم عن المدرس الذي يستطيع استنباط أفضل ما لديهم فهم يقولون إن هذا المدرس يحترمهم، وهم بالمقابل يحبونه ويحترمونه. ويتحدث هؤلاء الطلاب عن ذويهم بالأسلوب نفسه.

أمضيت كذلك وقتاً لا بأس به في تقصي الأساليب التي يبتدعها المدرسون لإرساء علاقات حسنة مع طلابهم. ولا شك بأننا نستطيع تعلم الكثير من المدرسين - فهم خبراء في التعامل مع الأطفال وفي خلق الحوافز لديهم وحملهم على القيام بأعمال لا يرغبون بها في بادئ الأمر. وقد ركزت بصورة خاصة على أولئك المدرسين الذين يظهرون مهارة خاصة في حمل الطلاب على أداء أعمالهم المدرسية. وعندما أدقق النظر فيما يفعلون فإنني أتوصل إلى القناعة بأنهم يعملون أولاً على بناء علاقة حسنة مع طلابهم.

ختاماً أجريت كذلك قدراً لا بأس به من الأبحاث التي تقصّت موضوع انتقال الطلاب من مرحلة إلى أخرى في المدرسة، ثم إلى مراحل تعليمية أعلى وإلى العمل بعد ذلك. واهتممت بشكل خاص بالطلاب «المعرضين لخطر الفشل» أو أولئك الذين تركوا الدراسة وكذلك بمؤسسات الخدمة الاجتماعية التي يبدو أنها نجحت في إعادة هؤلاء الطلاب إلى الطريق السوي ودفعتهم للانخراط في المسار الدراسي مجدداً. وقد تبين لي من حديثي مع أولئك الذين يعملون مع الشبان أن نجاحهم في العمل مع أولئك الذين يمثلون حالات صعبة من بين الشبان إنما تم عن طريق التركيز على بناء علاقات جيدة مع كل من هؤلاء الشبان.

كان الاستنتاج الذي خرجت به من كل البيانات والمعلومات التي استقيتها من فئات المدرسين، والآباء، والعاملين مع الشبان، والعاملين في حقل سلوك ذوي الطلاب، والاختصاصيين النفسيين والموجهين، وكان الاستنتاج هو إن نجحت في بناء علاقة جيدة مع ابنك فستكون قد قطعت نصف طريق النجاح في مهمتك.

تدعم هذا الاستنتاج الأبحاث التي تظهر بأن خلق الحوافز لدى الطلاب وإنجازاتهم إنما يتأثر بمواقف وتوقعات أبويهم وبعلاقتهم معهم. كما بينت أن ذوي الطلاب الذين لا يضيّقون الخناق على أبنائهم ويبدون مساندة لهم يخلقون حوافز أكبر لدى الأبناء حيث يقيّم المدرسون أداءهم، أي أداء هؤلاء الطلاب على أنه أقل اضطراباً. وتظهر الأبحاث في الواقع أن نوعية علاقتك مع ابنك إنما تنبئ عن حسن العلاقة بينه وبين مدرسيه.

أود أن أذكرك من جديد بأن أي تحول في علاقتك مع ابنك، مهما كان هذا التحول طفيفاً إنما يعزز لديك الشعور بالرضا عن نفسك وعن ابنك، وقد يكون هذا هو كل المطلوب لدفعه للاستمرار في المدرسة إلى أن يتسنى له المزيد من التوجيه، أو يصادف من يبيث في نفسه حماساً أكبر، أو يعثر على موضوع دراسي يدفعه للدراسة بحماس أكبر أو يمكنه من استكمال مراحل الدراسة، وهو ما لم يكن ليفعله لولا ذلك. بل إن هذا قد يكون نقطة الانطلاق التي ترتقي به إلى مستويات أعلى من الحوافز والانجازات.

سأقدم في هذا الفصل ثلاثة أساليب في السلوك الأبوي وهي: الأسلوب القائم على الحزم، والسلوك الأوتوقراطي القائم على الإخضاع والسلوك المتساهل. وسأقترح أن يكون السلوك الأبوي القائم على الحزم هو ما يجب علينا استهدافه. وبعد ذلك سأقدم ما اعتبره السمات والخصائص وأنماط السلوك الخمسة التي أضعها في رأس القائمة باعتبارها تعكس العلاقة الحسنة بين الشخص البالغ/ الأب وبين الطفل، وإن كانت هذه الأنماط تعد بالملئات في واقع الأمر.

تقصيت في أحد مشاريع البحث التي أجريتها ما يعتبره ذوو الطلاب أصعب الأمور فيما يخص مهماتهم كأباء وأمّهات. وتجدر الإشارة إلى أنني كنت ألتقى باستمرار جوابين أولهما افتقار الأبوين إلى المعلومات التي تساعد على تربية أبنائهم، والثاني وهو يتفرع عن الأول هو افتقار الآباء إلى الشعور بالثقة بالنفس فيما

يتعلق بممارستهم لأساليب التربية. كما تبين لي من مشروع بحث آخر أن ذوي الطلاب الذين يتمتعون بالثقة في قدرتهم على تربية أبنائهم يظهرون فعالية أكبر كأباء ولديهم علاقات أفضل مع أبنائهم. ويستهدف هذا الفصل بالتالي زيادة ما لديك من معلومات ومن شعور بالثقة بالنفس في هذا المضمار أيضاً.

أساليب التربية الأبوية

يتقصى عدد كبير من الأبحاث أساليب التربية الأبوية. ويطلق هذا التعبير على الطريقة التي تتصرف من خلالها مع ابنك والطريقة التي تتفاعلان فيها مع بعضكما البعض، والأسلوب الذي تتواصلان به والمواقف التي تتخذها إزاء ابنك وإزاء عملية التربية الأبوية برمتها. وكما بينت أعلاه يمكن تقسيم أساليب التربية الأبوية إلى حازمة وأتوقراطية ومتساهلة.

الآباء الحازمون

ينحو هؤلاء الآباء منحى يميل إلى الحزم والقوة بأسلوب يتسم بالمساندة والإنصاف لا بتوقيع العقوبة. ويبيدي هؤلاء الآباء المرونة عندما تستدعي الحالة ذلك. ويعتمدون إلى تبديل القواعد التي يتبعونها عند الضرورة، وهم يفسرون لأبنائهم تلك القواعد والأسباب التي تدفعهم لفرضها. كما أنهم يحرصون على أن يبيدي الأبناء روح المسؤولية إزاء سلوكهم ولكنهم يوفر لهم المساندة التي تمكنهم من إبداء هذه الروح. وهم يتصفون بالثقة بأنفسهم، ويزودون أبنائهم بمعلومات ارتجاعية تمكن الأبناء من التحلي بالثقة بالنفس أيضاً. وهم يركزون لدى أداء مهمتهم على نواحي القوة وليس على نواحي القصور عند أبنائهم، غير أنهم يدركون نواحي القصور لديهم ويجرون التعديلات المطلوبة حين تستدعي الحاجة إليها. وهم يحبون أبنائهم دونما تحفظ، ولكنهم يوضحون رأيهم إزاء أنماط السلوك التي لا يرضون عنها، وهم يتطلعون إلى الفرص التي يتمكنون من خلالها من تأكيد النواحي الإيجابية لدى أبنائهم وليس الفرص التي يكشفون فيها عن نواحي الضعف والمشكلات لدى هؤلاء الأبناء.

الآباء الأوتوقراطيون

ينحو هؤلاء الآباء والأمهات منحى يميل إلى الحزم والقوة ولكن بطريقة تميل إلى فرض العقاب ووضع القيود. وهم لا يبدون مرونة ويتمسكون بالقواعد بصورة تميل إلى الصرامة والقسوة حتى لو استدعت الحالة تخفيف شدة هذه القواعد. وهم لا يفسرون القواعد التي يتبعونها ولا سبب فرضها، ويحرصون على حمل أبنائهم على إبداء روح المسؤولية إزاء سلوكهم ولكنهم يتوقعون منهم أن يفعلوا ذلك دون مساندة من جانبهم أو مع قليل من المساندة. ثقة هؤلاء الآباء/الأمهات بأنفسهم مهزوزة وهم لا يميلون إلى تزويد أبنائهم بالمعلومات الارتجاعية المساندة التي يحتاجونها لتطوير ثقتهم بأنفسهم. وهم لا يبدون الرغبة في التعرف على نواحي القصور في أساليب تربيتهم ولا يبدلون عندما تستدعي الحاجة ذلك. وهم يحبون أبنائهم – ولكن بتحفظ، أي على أساس قيام أبنائهم بعمل ما يريدونه هم. وهم لا يميلون إلى تأكيد النواحي الإيجابية لدى أبنائهم بل يركزون على نواحي الضعف والمشكلات لديهم.

الآباء المتساهلون

لا يبدي هؤلاء الآباء/الأمهات أي قدر من الحزم بل يظهرون من المرونة قدراً كبيراً بحيث لا يتسم أسلوبهم إلا بالقليل من الثبات أو الاستمرارية. وهم لا يلجؤون لوضع قواعد عديدة أو تنفيذها، ولا يبدون الكثير من الانتباه إلى ما إن كان ابنهم يبدي روح المسؤولية عن أعماله ولا يوفر له الكثير من المساندة لكي يكتسب روح المسؤولية. وهم لا يتمتعون بالكثير من الثقة بالنفس، ولا يوفر المعلومات الارتجاعية التي يحتاجها الطفل لبناء ثقته بنفسه. وهم لا يفكرون كثيراً بأمور التربية ولذا فهم لا يعون الحاجة لإجراء تغييرات في أساليبهم التربوية. وهم يحبون أبنائهم ولكنهم لا يتطلعون للمناسبات التي تمكنهم من الارتقاء بأبنائهم.

ربما تكون قد توصلت الآن للاستنتاج بأن الأب الحازم هو الذي تقرنه الأبحاث بأكثر النتائج إيجابية للعلاقة بين الطفل والأب/ الأم.

هذا لا يعني أن الأسلوبين الآخرين من شأنهما إعطاب طفلك بصورة مؤكدة.

فأبناء الآباء المتسامحين مثلاً قد يتعلمون كيف يربون أنفسهم بأنفسهم ويكتسبون الحوافز ويبدون روح المسؤولية إزاء أنفسهم. غير أن آخرين يفتقرون للقدرة على تحديد اتجاههم ولا يعون ماهيتهم الحقيقية. أما أبناء الآباء الأوتوقراطيين فقد يكبرون وهم يتمتعون بروح المسؤولية القوية والالتزام بالقوانين واحترام النظام. ويظهر من بينهم العديدون ممن يحققون إنجازات عالية. غير أن منهم من يتطور لديه شعور شديد بالخوف من السلطة ومن الفشل. ولقد تبين لنا في الفصل العاشر الذي بحثنا فيه موضوع الخوف من الفشل أن هذا الأمر قد يؤدي إلى نتائج عكسية لدى الطفل.

قد يتبين لك أن سلوكك يتراوح بين أنماط مختلفة من السلوك اعتماداً على كل حالة على حدة وعلى الطفل الذي تتعامل معه. وهذا أمر لا بدّ لك من أن تتوقعه. وتجدر الإشارة إلى أننا لا نستطيع أحياناً تفسير الأسباب المنطقية لكل قاعدة. فقدنبادر الطفل بالقول أحياناً: «لا تعني لا، ولا مجال لمناقشة هذه المسألة الآن»، وفي أحيان أخرى قد نقع تحت تأثير التوتر والتعب من الشجار بحيث لا نميل إلى اتخاذ الموقف الحازم. السؤال الحيوي هو أي أسلوب نتبنّاه معظم الوقت، ومن ثم انتهاز الفرص التي تمكّنا من التحول إلى أسلوب التربية الأبوية الحازم والابتعاد عن الأسلوبين الآخرين.

كيف نفعل ذلك؟ ما قرأته وما أجرّيته أنا نفسي يحدد العوامل الخمسة الرئيسية في بناء أسلوب حازم في التربية الأبوية وفي تطوير علاقة قوية بين الأب والطفل:

- الاحترام المتبادل.
- وضع نفسك في موضع الطفل.
- التوازن.
- الجذب أكثر من الدفع.
- اللجوء إلى التعلم على مدى الحياة.

الاحترام المتبادل

يدرك الأطفال متى تحجم عن احترام آرائهم ومواقفهم وقناعاتهم وسلوكهم وهم يمتقنون ذلك. وقد تبين لي نتيجة لحديثي مع المراهقين أن الاحترام هو أحد أهم الأمور التي تكمن خلف العلاقات التي تخلق لديهم الحوافز. وهم مستعدون للإنصات لأي شخص بالغ يعتقدون أنه يحترم ما يفكرون به ويقولونه ويفعلونه.

ذكرت في بداية هذا القسم كلمة «المتبادل» لأن الطفل يبدي الاحترام للشخص البالغ الذي يظهر الاحترام له. وهذا الأمر يقودنا إلى نقطة شديدة الأهمية حول اكتساب احترام الشبان. لا بد من كسب احترام الطفل لك. وسواء شئنا ذلك أم أبينا فلقد ولّت الأيام التي كنت تستطيع خلالها أن تبادر معظم الأطفال بالقول: «إنني كبير وعليك أن تحترمني!» هذا ما علينا أن ندركه فيما يخص معظم الشبان. وأستطيع أن أملاً كتاباً من ألف صفحة يضم أسماء المدرسين والآباء/ الأمهات الذين انهاروا واكتووا نتيجة لانتهاجهم هذا السبيل. كما يمكنني أن أملاً كتاباً آخر من ألف صفحة بأسماء المدرسين والآباء والأمهات الذين كسبوا احترام الشبان وحصدوا المكافآت والشعور بالرضا الناجم عن ذلك. ومن الأمثلة التقليدية على ذلك طالب تقسم بأن من الواجب طرده من أحد الفصول المدرسية ولكنه يظهر رغبته في الدراسة وتعاونونه عندما ينتقل إلى فصل آخر. وستجد أن الفرق هو في الطريقة التي يعامل بها المدرس الطالب. ولقد صادفت طلاباً يتسم سلوكهم بالخشونة والجموح والعناد ولكنهم يبذلون استعداداً لاجتياز الغابات وصعود الجبال من أجل مدرس أو موجه تعامل معهم باحترام.

ليس هناك أسلوب سحري لكسب احترام الشبان. ولكن هذا لا يعني استسلامك لكل ما يقوله ابنك أو يفعله. وقد أفادني الطلاب بأنهم لا يبالون إن كان مدرسهم أو والدهم لا يتفق معهم في وجهات نظرهم أو يمنعهم من عمل شيء ما شريطة أن يستمع إلى وجهة نظرهم بصورة جيدة تتم عن الإنصاف والصدق.

إليك بعض الأساليب التي يقول المدرسون إنهم يكتسبون الشباب من خلالها .

- لا تفترض أنك ستحصل على هذا الاحترام إن لم تدفع ثمنه .
 - احرص على بذل الوقت المطلوب للتعرف على الطفل - على الطريقة التي ينظر بها إلى العالم وبماذا يفكر .
 - اعطِ قيمة لاهتماماته ولما يفعله على سبيل التسلية .
 - تطلع إلى الفرص التي تسنح لك للتحادث مع ابنك وجهاً لوجه .
 - استمع لوجهات نظره ومنظوره للأمور - وهذا يتطلب من الشخص البالغ أن يستمع ويفهم بالتفصيل كل ما يقوله الطفل .
 - انتهر الفرص التي تمكّنك من أخذ جانب الطفل في نظره للأمور (شريطة ألا يصل بك الأمر إلى درجة التساهل المذل) .
 - أكد على النواحي الإيجابية لدى الطفل كلما أمكنك ذلك شريطة أن يكون المديح قائماً على أسباب جوهرية وينم عن مشاعر حقيقية، وألا يقوم على مديح زائف .
 - تابعه في أحسن حالاته كلما أمكن ذلك .
 - حملّ الطفل المزيد من المسؤوليات (ضمن الحدود الملائمة) .
- يستلزم احترام الطفل أيضاً مداورتك للأمور في بعض الأحيان. ماذا يعني ذلك؟ لا يعني بأن عليك أن تتعامل مع بعض المواقف بصورة تقوم على التصادم المباشر، بل أن تتجنب المجابهة وألا تحاول حشر طفلك في زاوية . لا تحاول حشره في وضع يفقد معه ماء وجهه .

رأيت موجهين يتعاملون بأسلوب يتسم باللطف والخبرة الدقيقة مع شبان يبدوون قمة العدوانية على الرغم من أن الحالة القائمة تتسم بالخطورة. فهم يعالجون الوضع بأسلوب لا ينم عن التهديد، ويدركون أن الشاب يشتعل غضباً ويحاولون

إشعاره بأنهم يتفهمون دوافعه لذلك. ولكنهم يحاولون التأكيد للشباب بأنهم يستطيعون، إن تعاونوا، التوصل إلى سبيل لحل تلك المشكلة دون اللجوء إلى العدوانية والعنف. وهم لا يسلكون سبيل المواجهة المباشرة لحل المشكلة بل يدورون حولها ويواجهونها من زاوية أخرى.

منحى مماثل قد يجنبك وضعيات مشتعلة في البيت. واجه المشكلة من زاوية أخرى كما فعل الموجّه. لا تثر فزع ابنك ولا تضعه في موضع يريق فيه ماء وجهه ولا تحشره في زاوية - إذ إنك إن فعلت فستدفعه إلى موقف قد يفلت فيه زمامه - وهذا ليس هو السبيل الذي يمكنك من التفاوض معه مع التركيز على الحل.

ضع نفسك في موضع الطفل

تبين لي نتيجة لأبحاثي مع الشباب أن أحد الأسباب الأساسية التي تدفعهم إلى الاندماج والارتباط العاطفي مع أصدقائهم هو أن هؤلاء الأصدقاء يفهمون ماذا يعني أن تكون مرهقاً وهم بالتالي يفهمون منظور المراهق للحياة. وقيمّ الشباب تقييماً عالياً قضية تفهمهم، فإن لم يتفهمهم ذووهم فسيبحثون عن من يفعل ذلك. ولقد قالت لي إحدى الفتيات: «لصديقاتي نفوذ أكبر عليّ لأنني أتفق معهن في وجهات نظرهم أكثر مما أتفق مع أمي. أصغي لهن أكثر لأنني أعتقد أنهن على صواب.»

كما تبين لي نتيجة لأبحاثي مع الشباب أن إحدى شكاواهم الرئيسية هو أن ذويهم ومدرسيهم لا يعرفون بعد معنى أن تكون مرهقاً. ولقد قال لي أحد الفتيان: «يعرف أصدقائي وجهة نظري لأنهم مروا بمثل ما مررت به ويعرفون ما يجري. أما والداي فهما يفترضان أنهما يعرفان، غير أنهما لا يعيشان ما أعيش ولا يدركان ما يجري». هل يعني هذا أنك انعزلت كلياً عن حياة ابنك المراهق بسبب سنك في حد ذاته؟ كلاً، على الإطلاق. فمن حديثي مع الشباب تبين لي أنهم قادرون على تسمية أشخاص يعتقدون بأنهم يتذكرون ما يعني أن تكون يافعاً... مثل هؤلاء الناس يبنون علاقة حسنة مع الشباب.

فلنقلها بصراحة: أن تضع نفسك في موضع ابنك لا يعني أن تتصرف وكأنك طفل أو أن تحاول أن تتصرف على طريقته مهما كان الأمر - فالبالغون يتذكرون كيف كانوا في فترة شبابهم المبكر، وهم يتمسكون بحزمهم ولكنهم يدركون بأن الشبان لا يرون العالم من منظورهم نفسه. كما يدركون أن الشبان لا ينتهجون مواقفهم نفسها ولا يتصرفون بنفس طريقة تصرفهم هم. وبإدراكهم ذلك فإنهم يتقبلون الاختلاف ويؤكدون بالتالي على وجود تلك الفوارق.

يدرك الآباء والمدرسون الذين يتمكنون من خلق الحوافز لدى الشبان أن هؤلاء يملكون الطاقة ويخترقون الحواجز لكي يتعلموا المزيد عن أنفسهم، وبأن الشبان سيخرقونهم في حالة من الفوضى بين حين وآخر، وأنهم سيتصرفون بأسلوب مزاجي متقلب، وبأن الشبان يتخذون موقف التحدي ويصعب قيادهم. وهم يدركون كذلك بأنه حين يعرف الشاب أن البالغين يتقبلون هذا الواقع فإن العلاقة بين الطرفين تصبح ممتعة.

من المهم أن ندرك بأن الحياة في هذا العصر قد تكون عسيرة. وكما قالت لي إحدى الفتيات: «هنالك الكثير من الأمور التي تجري في هذا العصر. إنه العصر الذي يقدم فيه الشبان على قتل أنفسهم وعلى إدمان المخدرات، ويعود الكثير من ذلك إلى مشاعر اليأس التي تسيطر عليهم». أن تضع نفسك في موضع ابنك يعني إدراكك أن الزمن الحاضر عسير، وأن دورك هو أن تساعد على تجاوز الصعوبات التي تواجهه. وإن سألتني إن كنت أود لو أعود إلى أيام مراهقتي فسأجيب بأنني، وإن كنت أتمنى استعادة الكثير منها فإن هنالك الكثير مما يسرني أن أتركه ورائي دون أن ألفت إليه. كانت تلك أياماً عسيرة بالفعل ولا تبعث على السرور.

نصيحتي هي أن تنصت لابنك بانتباه وأن تخرج من قوقعتك لتضع نفسك في موضعه. وأن تحاول أن تتذكر ماذا يعني أن تكون شاباً. تذكر بأن تقبل وجهة نظر ابنك. حتى وإن كانت تختلف عن وجهة نظرك وحتى لو كانت لا تريحك. اعتبر وجهة نظره جديرة بالاهتمام وقائمة، حتى لو كنت تعتقد بأنها لن تستمر لأكثر من

أسبوع لتحل محلها التقليعة التالية أو ما إلى ذلك. غير أن الأمر الثابت هو أن عليك أن تلغي كل الرهانات وأن تتصرف إزاء الوضع بطريقة مختلفة إذا وصل الطفل بتصرفه إلى الدرجة التي يؤدي بها نفسه.

قد لا تتفهم أولويات ابنك في بعض الأحيان. ولكن ما أطلبه ليس تفهم هذه الأولويات بل إدراك وجودها وتقبلها والتسامح إزاءها. وحين أتذكر نفسي في سن الخامسة عشرة أو السابعة عشرة أو ماحولها فلست أفهم على الإطلاق لماذا كانت أمور معينة تحتل مركز الأهمية عندي. غير أنني كنت سأقسم في ذلك الحين بأنها كانت أهم وأجدر الأمور بالنسبة لي، وأي شخص بالغ كان من شأنه أن يقول لي بأنها أمور لا أهمية لها سيضع جداراً منيعاً بيني وبينه.

على الأبوين أن يجاهدا بكل ما لديهما من قوة لكي يحافظا على الارتباط بانهما حتى وإن كان عليهما أن يتقبلا أموراً لا تروق لهما. فهما بذلك يظان يحتفظان بنفوذ عليه ما دام يحافظان على هذا الارتباط. وأحد السبل التي تمكنك من معرفة ما إن كان هذا الارتباط قد بدأ يتزعزع هو حينما يتبين لك أنه يخفي أموراً هامة عنك لأنه يشعر بأنه يستطيع التصرف بصورة أفضل إن لم تشاركه الرأي أو لم تعرف ماذا يفعل. ولقد قالت لي إحدى الفتيات: «كان لدي امتحانان وقد اجتزتهما لأنني لم أخبر والديّ بأمرهما. نجحت لأنني تجنبنا ضغوطهما علي».

أن تضع نفسك في موضع ابنك يعني أن تعي الصعوبات التي يتعرض لها في أدائه لأعماله المدرسية، كما يعني أيضاً أنك لن تتوقع له الأسوأ بصورة أوتوماتيكية إن لم يكن أداؤه حسناً، ولأشرح ذلك.

أستخدم في أبحاثي المستمرة حول الحوافز لدى الطلاب نموذجاً أسميه «مقياس الحوافز عند الطلاب». يقيس هذا النموذج الدوافع والكوابح والمثبطات للحوافز، كما أعطي الآباء/ الأمهات مسحاً استفسر منهم فيه عن الحوافز لدى أبنائهم. ولقد

أدهشني التفاوت بين هذين النموذجين مما يؤكد احتمال وجود فجوة هائلة تفصل بين الآباء وأبنائهم حتى فيما يتعلق بالأمور الخاصة بالحوافز. وعندما توجد مثل تلك الفجوة يشعر الشبان بأن آباءهم لن يفهموا دوافعهم.

أقدم في الصفحة التالية جدولاً يبين كيف يقيّم الطلاب أنفسهم وكيف يقيمهم آباؤهم. العلامة من مائة ولذا فإن العلامة العالية بالنسبة لأي دافع هي دليل جيد بينما العلامة العالية في أي من المثبطات أو الكوابح هي علامة غير حسنة.

هنالك فوارق كبيرة في عدد من الحالات فيما بين تقييم الطلاب لأنفسهم وتقييم الآباء لهم. فإذا أخذنا موضوع التركيز على التعلم مثلاً نجد أن هناك فارقاً كبيراً يصل إلى (١٨) نقطة فيما بين مايقوله الطلاب عن أنفسهم وما يقوله آباؤهم عنهم. إذ يفيد الطلاب بأنهم يهتمون إلى حد كبير بتعلم أشياء جديدة ولحل المشكلات وتطوير المهارات. أما الآباء فهم يقولون إن أبنائهم لا يبدون اكتراثاً كبيراً بهذه الأمور. فمن المصيب ومن المخطئ؟ قد تكمن الحقيقة في مكان ما في الوسط. أما فيما يتعلق بالعلاقة الحسنة بين الآباء والأبناء، فإن كان الآباء يتعاملون مع أبنائهم على أساس أنهم لا يتمتعون إلا بقدر ضئيل من التركيز على التعلم بينما يعتقد الأبناء بأن لديهم تركيزاً جيداً على التعلم فإننا ندرك حينذاك دون شك وجود مشكلة هنا.

تقييم الحوافز

تقييم الطلاب لحوافزهم من علامة (١٠٠)	تقييم الآباء لحوافز الأبناء من علامة (١٠٠)	
الدوافع		
الإيمان بالذات	٨٠	٧٦
قيمة المدرسة	٨١	٦٩
التركيز على التعلم	٨١	٦٣
التخطيط	٥٨	٥١
إدارة العملية الدراسية	٦٩	٥٧
المثابرة	٧٠	٦٥
الكوابح		
القلق	٦٠	٥٨
تجنب الفشل	٤٩	٥٨
المشبطات		
ضعف التحكم	٥٢	٥١
التخريب على النفس	٤١	٦٣

فلنأخذ مثلاً آخر - قيمة المدرسة. يوجد هنا اختلاف من اثنتي عشرة نقطة بين وجهتي نظر الطلاب والآباء. فالطلاب يعتبرون أن للمدرسة صلة وثيقة بتعلمهم وأنها هامة ومفيدة، بينما يعتبر الآباء أن أولادهم لا يقدرّون المدرسة حق قدرها. وإنني أتخيّل أباً يقف في وجه ابنه متهماً إياه بأنه لا يأخذ مدرسته مأخذ الجد بالقدر الكافي بينما يشعر الابن بالظلم وعدم التفهم لأنه لا يعتبر المدرسة بهذا السوء. ولقد تبين لي طوال الفترة التي أجريت فيها أبحاثي بأن الطلاب يعتقدون بأن المدرسة مكان يتعلمون فيه أشياء هامة تتصل بالحياة. فمن هو المصيب؟ هنا أيضاً قد تكمن الحقيقة في الوسط. غير أن الفارق بين الطرفين كبير بحيث أنه إن لم يتعرّف الأب على نقطة وسط بينه وبين ابنه فقد يقرر الابن بأن المسافة الفاصلة بينهما شاسعة، ولذا فإنه لن يبذل أية محاولة للتفاهم بعد.

الاستنتاج واضح هنا. قد لا يرى ابنك حوافزه بالطريقة نفسها التي تراها بها. عليك، لكي يكون ابنك مستجيباً لما تطلبه منه أو تقوله له، أن تعرف الموقع الذي ينطلق منه. كيف يرى تركيزه على التعلم، وما مقدار تقييمه للمدرسة وللأعمال المدرسية؟ إن إظهارك أنك تعرف الموضع الذي يقف فيه ابنك ومعرفته بذلك إنما يبقى على الصلة القائمة بينك وبينه.

قد تكون هناك ناحية أكثر زعزعة في هذا الاختلاف. فإزاء كل دافع من الدوافع نجد تقييم الآباء أدنى في مستواه مما يقيّم الطلاب به أنفسهم. وهذا الأمر يبعث على الحزن لدى الآباء. والمخاطرة في ذلك هي أن الابن قد يتبنّى، إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وجهة نظر ذويه التي تبعث على شعوره بالكآبة بالنسبة لما لديه من الحوافز. ولقد أظهرت الأبحاث الخاصة بشؤون التعلم أن هذا الأمر قد يتحقق في الواقع حيث يبدأ تصرف الطلاب وإنجازاتهم تتساق مع توقعات ذويهم ومدرسيهم. فكيف يحول ذووهم دون حدوث ذلك؟ إحدى الوسائل الهامة هو أن يضعوا أنفسهم في موضع أبنائهم.

الموازنة مهمة

بحديثي مع الشبان ذهلت للمدى الذي يبلغه ذووهم في الضغط عليهم بحيث أن الأبناء يبدؤون في التراجع أو يتألمون شعور مريع إزاء أنفسهم. ولقد قالت لي إحدى الفتيات: «تحاول أُمِّي أن تدفعني لبذل المزيد من الجهد لكي أحصل على علامات متميزة في جميع المواد. حصلت في العام الماضي على علامة متميزة وأخرى أدنى منها مما أثار غضبها بحيث منعني من الخروج. وقد بعث فيّ هذا شعوراً سيئاً جداً. مثل هذا الموقف يحفزني في بعض الأحيان، غير أنه يدفعني إلى التمرد في غالب الأحيان».

آباء آخرون لا يدفعون أبناءهم قط مما يضع هؤلاء الأبناء في موضع يفترق لأي توجيه أو حوافز.

غير أن هنالك آباءً ينجحون في دفع أبنائهم بالدرجة التي تحملهم على التقدم ولكنهم يتركونهم وشأنهم في الوقت المناسب بحيث يتمكن الطالب من الإمساك بزمام أموره ويتابع طريقه، وبذلك يكون الآباء قد حققوا التوازن المطلوب.

قالت لي إحدى الطالبات: «أعتقد أننا نتوصل إلى حلول وسط، فهم يعملون على التأكد من أنني أعرف ما أريد وكيف أصل إلى ما أريد. ولذا فهم يتركونني أقوم بعملتي بنفسي إن تبين لهم أنني أحقق النتائج المرجوة. أما إن أخفقت فإنني أعمل بناءً على الأسلوب الذي يحددونه هم لي».

يبدو أن التوازن هو مفتاح السياسة الناجحة لدى الآباء. فأولئك الذين ينتهجون سياسة فعالة إنما يتوصلون إلى التوازن فيما بين:

- الانضباط والتسامح.
- الحزم والصدقة.
- المرح والتطبيق الجدي لما هو مطلوب.

- دفع الطالب وترك الحرية له.
- تطبيق القواعد المطلوبة والمرونة.
- اتخاذ موقف ثم التراخي بعض الشيء.

عندما تستهدف التوصل إلى التوازن في علاقاتك مع ابنك فيما يخص القواعد المتبعة في البيت وكذلك قواعد السلوك المتوقعة فلن تكون قد حشرته في زاوية ضيقة. وعندما تنتهج سياسة متوازنة فسيسامحك ابنك حين تتخذ مواقف وقرارات متصلبة. وقد قال لي أحد الفتيان: «يتصلب أبواي أحياناً إلى حد كبير، وفي الأحيان الأخرى يقولان لي تصرف بالطريقة التي تريحك على أن تتجز ما هو مطلوب منك».

أسلوب آخر يمكننا أن ننظر إلى الموازنة من خلاله وهو اعتبار الموازنة نوعاً من الإنصاف والعدل. ولاشك بأن الشبان يقيّمون تقييماً عالياً القواعد والقرارات والنتائج المبنية على الإنصاف. فعندما تكون تلك القواعد منصفة فإن من شأن ابنك أن يسامحك على النتائج المتصلبة إن هي تجاوزت الحدود.

كيف يمكننا تحقيق التوازن؟ يأتي في المرتبة الأولى معرفة المواقف التي يعوزها التوازن، ومن المؤشرات على ذلك عندما تصل الأمور إلى حدود المبالغة في أي مجال، مثل المبالغة في ممارسة الرياضة أو أوقات الفراغ، أو في الدراسة (أجل، أعتقد أن الطلاب قد يبالغون في الدراسة!)، أو في القيام بعمل إضافي، أو في الاتصالات الهاتفية ليلاً، أو في قضاء فترات راحة زائدة فيما بين فترات الدراسة. ومن المؤشرات الأخرى تبدل في سمات سلوك الطالب بحيث تصل إلى درجة كونها مشكلة، مثل زيادة وزنه زيادة مفرطة، أو تردي صحته العامة. وقد يفيد في هذه الحالة ممارسة التمارين الرياضية أو اتباع نظام غذائي متوازن.

من المهم أن نتحدث مع ابنك عندما تشك أن هناك ناحية غير متوازنة لديه، على ألا تفعل ذلك بطريقة تتم عن الاتهام أو بأسلوب يؤدي إلى المواجهة، بل لابد له من أن يشعر بأنه غير مهدد وهو يستمع إليك. وعند ذلك يجب ألا نطلب منه أن يكف

عن السلوك الذي تحدثه عنه بل إنك تود لو أنه يخفف منه. بين له بأنك تدرك بأن هذا السلوك مهم بالنسبة له، وهو بالتالي مهم بالنسبة لك، ثم تحدث معه عن مدى إمكانية تكراره لذلك السلوك (دون أن تأمره) بحيث يكون الوضع منصفاً له. اسأله ماذا يمكن لك أن تفعل كي تساعده أو تعينه على التخفيف من ذلك السلوك.

إن أصرّ على الاستمرار في ممارسة ذلك السلوك بصورة لا ترضيك فعليك أن تسأل نفسك: «هل يمكنني التعايش مع هذا الواقع؟» فإن استطعت أن تفعل (حتى ولو كنت غير مرتاح لذلك) فتساهل في الأمر، وبذلك تكون قد حققت مكسبين، أولهما أنك تحدثت مع الفتى بحيث أصبح أقرب إلى موقفك، كما أنك بنيت ثانياً نوعاً من التوازن والاحترام بينك وبينه - وهو موقف قوي جداً يعزز موقفك في أي مناسبة تتفاوض فيها معه فيما بعد. فإن لم تستطع أن تتعايش مع هذا الوضع فعليك أن تحاول بأن تكون أكثر إبداعاً في التغلب على المشكلة. حاول أن تتقصى الأمور الأخرى التي تتفقان عليها وتجعل من الوضع وضعاً أكثر قبولاً بالنسبة لك. هل يمكن إجراء مقايضة بينكما؟ تذكر بأن عليك أن تركز على الحل وليس على المشكلة، إذ إنك بذلك تحافظ على مساحة أمان عندما تتعامل مع طفل عنيد أو مراهق يميل إلى السلوك العاصف.

التوازن يعني بأنك تتفهم كون الإنسان يافعاً، فهو يحتاج للأصدقاء، وللدعابة والمرح، ولابد له من أن يرتكب الكثير من الأخطاء، ولا يمكن لحياته أن تقتصر على الدراسة وحدها. وأود الإشارة إلى أنني عندما أعقد حلقات توجيهية للعاملين في المدارس وتتوفر لي بضع لحظات فإنني أحاول قراءة الأسماء الواردة في لوحات الشرف. وما يلفت انتباهي بشدة أن أجد من يحتل المرتبة الأولى في المدرسة هو أيضاً رئيس فريق السباحة أو أنه يشارك في فرق النقاش أو يحتل أحد مقاعد مجلس المدرسة. مثل هؤلاء الطلاب إنما هم سفراء ممتازون يعبرون أبلغ تعبير عن أهمية التوازن.

حاول جذب الطالب بدلاً من أن تسوقه

ينجح بعض الآباء والمدرسين في جذب الشبان بحيث يحملونهم على تقديم أفضل ما عندهم، فهم يبدون لهم المساندة، ويعبرون عن توقعاتهم الإيجابية من هؤلاء الشبان، ويساعدونهم على التعلم من أخطائهم، ويركزون على تشجيعهم ويسمحون للشباب باستكشاف مواهبهم ونواحي القوة لديهم، ويؤمنون بأن لدى كل يافع القدرة على الوصول إلى أقصى ما في طاقته.

هنالك أيضاً آباء ومدرسون آخرون يسوقون الشبان ويدفعونهم طالبين منهم عدم ارتكاب أية أخطاء، وهم يعاقبونهم أو يوبخونهم حين يتدنّى أدائهم بعض الشيء، ويبدون خيبة أملهم إذا ارتكب الشبان أية أخطاء، وهم يعتقدون بأن الشبان لن يحسنوا الأداء إن لم يتم دفعهم في الاتجاه الذي يعتقد هؤلاء الآباء والمدرسون أنه الأفضل لهم.

لا شك بأن الأب الذي يجذب ابنه يستطيع بناء علاقة تتسم بالثقة والانفتاح معه، وهي علاقة أفضل من تلك التي يبنّيها ذلك الأب الذي يعمد إلى دفع ابنه دفعاً. فالنمط الأول إنما تنتج عنه علاقة تقوم على المساندة والتشجيع والتفاؤل بينما تبني العلاقة الناتجة عن النمط الثاني على الخوف والإكراه. وتعني العلاقة القائمة على جذب الطفل:

- التركيز على نواحي القوة لدى الطالب.
- التعرف على نواحي الضعف لديه شريطة أن يتم التركيز على الحلول التي تستخدم نواحي القوة لدى الطالب إلى أقصى درجة ممكنة.
- إبداء التفاؤل بأن بإمكان الطالب تحقيق النجاح، إلى جانب تقديم المساندة له لتحقيق ذلك.
- السماح للطالب بارتكاب الأخطاء مع التعلم منها.
- التأكيد على قيمة الطالب الشخصية مهما كان أدائه في المدرسة.

هل يعني ذلك بأنك لن تدفع ابنك أو تسوقه قط؟ لا بالتأكيد، إذ لا بد أن نكون واقعيين، ولا بد لك من أن تدفعه في بعض الأحيان للقيام بأعمال لا يستسيغها. وقد يحتاج ابنك أحياناً إلى دفعه في اتجاه تعتقد أنه الأفضل له، فهذه هي مهمة الأبوة في الواقع. وكما قال لي أحد الفتيان: «لا يسألونني في بعض الأحيان فيما إن كانت لدي واجبات مدرسية بل يتركون الأمر لي، وهذا يجعل الأمور أكثر صعوبة، إذ إنني لن أنجز واجباتي إن لم يطلبوا مني ذلك» بينما قالت طالبة أخرى بصراحة أنها تريد لوالديها أن يدفعها، وأضافت: «أحتاج دوماً لمن يدفعني ويقول لي إن علي أن أفعل ما يتوجب علي أن أفعله».

غير أن عليك، لكي تكون أباً فعالاً، أن تمتلك ناصية الحكمة بحيث تعرف متى يتوجب عليك أن تجذب ومتى يتوجب عليك أن تدفع. ونصيحتي لك هي أن تعمد إلى الجذب أكثر مما تعمد للدفع. فكلما استطعت أن تجذب ابنك كلما أصبحت علاقتكما أكثر إيجابية وباعثاً على المتعة.

تعلم طوال حياتك:

لم أسمع هذا القول مرة واحدة فقط بل آلاف المرات: «لن تكف عن أن تكون أباً طوال حياتك». هذا ما يقوله لي الآباء والأمهات الأكبر سناً في العادة، خاصة عندما أقول لهم (بسذاجة) إنني لن أستريح حتى يبلغ أبنائي الحادية والعشرين من أعمارهم. فإن كنت فعلاً لن تكف عن أن تكون أباً طوال حياتك فإن أفضل دفاع يمكنك امتلاكه لمواجهة التغييرات التي تحدث لأبنائك ولك وللعالَم من حولك - هو أن تعتبر نفسك إنساناً عليه أن يتعلم طوال حياته.

هذه الظاهرة أصبحت شائعة وتتمتع بشعبية كبيرة خلال السنوات الأخيرة، وهي ما أخذت تركز عليه الأبحاث التي تتناول الحياة المهنية للناس، حيث أن عالَم الأعمال يتغير بسرعة مذهلة بحيث أن على أي إنسان يريد أن يبقى عاملاً تجديد مهاراته ومعارفه باستمرار.

ينطبق الأمر ذاته على مهمة الآباء والأمهات. فلكي تتمكن من متابعة أبنائك والعالم الذي يعيشون فيه يتوجب عليك أن تجدد مهاراتك ومعارفك بين آونة وأخرى. ولاشك بأنك تدرك تماماً بأنه مع كل سنة يكبر فيها ابنك وينمو فإن ذلك يتطلب منك بناء استراتيجيات مختلفة لكي تتعامل بفعالية مع نموه وبلوغه. فإن ظللت تعتمد على نفس الاستراتيجيات التي كنت تعتمد عليها قبل خمس سنوات عندما كان ابنك في العاشرة من عمره مثلاً فلن تستطيع متابعة تطوره. كل ما سيحدث هو أنه سيثمئز لأنك مازلت تعامله كطفل، وهو ما من شأنه أن يؤثر تأثيراً سلبياً على علاقتكما. يجب ألا تسمح لهذا الأمر بأن يحدث.

أن تتعلم طوال حياتك يعني أن تعيد النظر بانتظام بنفسك وبممارساتك كأب/ أم. هل يحالفك الحظ في هذه الممارسات؟ هل تتجح ممارساتك تلك مع ابنك؟ وهل تتجح بالنسبة لك؟ هل تتصفه هذه الممارسات بما فيه الكفاية؟ هل تساعد على أن يكون إنساناً أفضل في مستقبل أيامه؟ ثم أباً أفضل بعد عشرين سنة مثلاً؟

وهو يعني أيضاً اهتمامك بتطوير مهاراتك كأب/ أم. اقرأ كتاباً جديداً يتعلق بالتربية بين حين وآخر. احرص على مشاهدة فيلم يجعلك تلمس اهتمامات ابنك. تحدث مع آباء وأمّهات آخرين حول كيفية التعامل مع ما يواجههم من تحديات. وهو يعني أيضاً الاصغاء لابنك عندما يخالفك وجهات نظرك. تبين ما الذي يقوله وهل يوحى بأن عليك أن تجدد معارفك أو ما لديك من مهارات؟ التعلم طوال الحياة يعني تقبلك ارتكاب الأخطاء، وتعلمك من هذه الأخطاء. وحين يراك ابنك وأنت ترتكب أخطاءاً وتتعلم منها فإن هذا هو الطريق الأمثل للتقليل من مخاوفه من الفشل، خصوصاً حين يراك وأنت تتعامل بصدق وبدون شعور بالعار مع حالات فشلك. ولقد تبين لي لدى حديثي مع الشبان أنهم يحترمون المدرسين الذين يمكنهم أن يضحكوا على أنفسهم عندما يخطئون ثم يصححون أخطاءهم. فمثل هؤلاء المدرسين يعلمونهم دروساً شديدة الأهمية في الحياة، وبإمكانك كأب أو أم أن تعلمهم دروساً مماثلة.

الحياة في عالم الواقع

لا تحدث الأشياء في عالم الواقع كما تتحدث عنها الكتب، وإليك بعض الأمور التي يجدر بك التفكير بها وأنت تهضم ما قرأت في هذا الفصل:

- ليس هناك أب/ أم كامل، فلا تجلد نفسك إن ظننت بأنك لا تتمتع بالكمال. ولكن هذا لا يعني أن لا تستهدف تطوير مهارات أكثر فعالية. تذكر بأن عليك أن تتعلم طوال حياتك .
- لا تتوقع أن تتفهم تفهماً كلياً أولويات ابنك وما يفضله. تعلّم تقبّل تلك الأولويات والأمور التي يفضلها طالما كانت لا تؤذي أو تؤذي غيره.
- قد لا تستسيغ بعض الأمور التي يفعلها ابنك. فإن لم يتقبل رأيك اسأل نفسك إن كنت تستطيع التعايش مع هذا الأمر. وحتى وإن كنت لا تستسيغ ما يفعل فدع الأمور تسير مادام ذلك لا يؤذي أو يؤذي غيره. قد تضطر لخسارة معركة أو معركتين لكي تكسب الحرب.
- قد لا توافق على ما يفعله ابنك في بعض الأحيان، وهناك مناسبات عدة يتوجب عليه أن يعرف فيها ذلك. إقامة علاقة جيدة مع ابنك لا يعني أن تمتنع امتناعاً كلياً عن عدم الموافقة على سلوكه أو أن تفقد سلطتك عليه كأب. تذكر أن تركيزك على السلوك والمشكلة المطروحة وليس عليه كشخص من شأنه أن يحفظ لابنك قيمته واحترامه لنفسه.
- لا تتوقع أن بإمكانك التمسك بالحزم طوال الوقت، فقد يتوجب علينا أحياناً أن نتعامل مع الأمور بصورة تنم عن سلطوية وأتوقراطية أكبر، كما قد يبلغ بنا التعب مبلغه في أحيان أخرى بحيث يقارب سلوكنا السلوك المتساهل. ليكن هدفك أن تكون حازماً ما أمكنك ذلك، على أن تنتهز المناسبات التي يمكنك خلالها أن تلقي العيب عن كاهلك - مع اعتبار هذه مناسبات خطيرة يجب عليك أن تلتزم جانب الحذر فيها.

- قد تعتقد في بعض الأحيان بأن من غير المناسب أن تدور حول الأمور وأن عليك أن تواجهها بشكل مباشر. لا بأس في ذلك، شريطة أن تحرص على التقليل من عدد المرات التي تؤدي إلى حدوث صدمات في البيت. فقد أظهرت الأبحاث أن تعدد الصدمات المباشرة في البيت يهدد بخطر قيام «دائرة من العلاقات القسرية التحكمية» حيث تنزلق أنت وابنك في دوامة مستمرة من المواجهات.
- لا تجزع إن رأيت أن حياة ابنك تفتقر إلى التوازن في زاوية ما. فالمراهقون بالذات قد يصلون إلى درجة الهوس ببعض الأمور أحياناً. أذكر أنني وصلت إلى درجة الهوس بفرقتين من فرق موسيقى الروك خلال فترة مراهقتي. ومادام ابنك لا يؤدي نفسه أو الآخرين فقد يجدر بك أن تغض الطرف أحياناً إلى أن يعود إلى صوابه.
- من المهم أن يجرب ابنك كل مسرّات فترة الشباب: الأصدقاء، والرياضة، واللهو والأخطاء. غير أن سنوات المدرسة تستدعي الدراسة أيضاً. تفاوض مع ابنك حول كيفية الموازنة بين الدراسة ونواحي حياته الأخرى. ولقد تبين لي أن الأبناء كثيراً ما يسامحون آباءهم ومدرسيهم فيما يتعلق بمطالبهم الصعبة الخاصة بالدراسة إن هم تسامحوا معهم إزاء الإنغماس في بعض أجواء اللهو والالتقاء بأصدقائهم بين وقت وآخر.
- لن تستطيع أن تجذب ابنك دوماً، وقد لا يتوفر لك الوقت أو الطاقة أو الصبر لذلك أحياناً. لا بدّ لك أن تحاول دفعه أحياناً للقيام بعمل تعتقد أن عليه القيام به. لا بأس في ذلك شريطة أن تعتمد إلى الجذب أكثر من الدفع، وأن تزيد من محاولات جذب ابنك على المدى المتوسط أو الطويل.
- لا يمكنك أن تقرأ كل كتاب يعالج موضوع التربية أو أن تتنظم في كل دورة أو ندوة تبحث في هذا الموضوع من أجل متابعة التعلم طوال حياتك. يكفي تحديثك لبعض المهارات الرئيسية لكي تتمكن من متابعة تطور ابنك، ولا بدّ لك

من الإدراك بأن الاستراتيجية التي انتهجتها بنجاح من قبل قد لا تكون فعالة هذا العام. وحين تقرأ أي كتاب يبحث في أمور التربية (بما في ذلك هذا الكتاب) فعليك ألا تفترض بأن من الواجب أن تتبنى ما يقوله بحذافيره. فأنت تعرف نفسك، وتعرف ابنك أكثر من أي أحد آخر. حاول الموازنة بين ما لديك أنت من معلومات وبين ما يقوله الكتاب، وخذ ما تعتبره قابلاً للتطبيق وابدل جهدك لتطبيقه. تذكر بأن تنفيذ أشياء قليلة بصورة حسنة خيرٌ من عمل أشياء كثيرة دونما إتقان.

تدور الأفكار التي أقدمها في هذا الفصل حول بعض المبادئ الجوهرية التي تؤسس لإقامة علاقات جيدة. غير أن هنالك علاقات تتطلب مساعدة أو تدخلاً من مختصين، ولذلك فقد تحتاج لنصائح تتجاوز ما يحويه هذا الفصل. وقد تقوم علاقات صعبة بين شخصين يفسلان في التعامل مع بعضهما البعض بصورة سلسلة مع أنهما يتعاملان بالشكل الملائم في المواضيع الأخرى. أو ربما يعود الأمر إلى قضايا مثل اضطراب السلوك، أو اضطراب الانتباه، أو اضطرابات النشاط الزائد، أو الإدمان على مواد محظورة، أو مرض عقلي، أو ما شابه ذلك. لا تسمح للخوف بأن يحول بينك وبين محاولة الحصول على المساعدة أو البحث عن مقدم لك ولابنك أفضل مساعدة ممكنة.

إيجاز للفصل

بناء علاقة جيدة مع ابنك قد يكون هو الفيصل في قدرتك على مساندته وتطوير حوافزه. وأكثر العلاقات فعالية هي تلك التي يملك فيها الأب والأم زمام السلطة، على أن يمارساها بأسلوب يقوم على المساندة والتشجيع والحب. يطبق هؤلاء الآباء قواعد وضعوها لبيوتهم ولكنهم يظهرون المرونة بحيث يعدّلون تلك القواعد في أحوال وظروف معينة. وهم يخلقون جواً لا يعتبر ارتكاب الأخطاء نهاية للعالم بل يحثون من خلاله أبناءهم على الاستفادة من أخطائهم. والأسس الخمسة الجوهرية للعلاقة الحسنة بين الأب وابنه إنما تقوم على الاحترام المتبادل، وتفهم وضع الابن، والسعي للتوصل إلى التوازن، والجذب أكثر من الدفع والرغبة في التعلم على مدى الحياة.

النقاط الخمس الرئيسية في الفصل الحادي عشر

١- الاحترام المتبادل هو مفتاح العلاقات الحسنة ولا يمكن تحقيقه إلا باكتساب المرء له بجهده وبصرف الوقت اللازم من قبل الأب لتفهم منظور ابنه للأمور، وتقييم أولوياته وما يفضلها، وذلك بناءً على مناقشته وجهاً لوجه، والإنصات لما يقول، وإعطائه المزيد من المسؤولية ودعم موقفه كلما أمكن ذلك.

٢- أحد الأمور الرئيسية التي تثير لدى الشبان الشعور بخيبة الأمل هو عدم تفهم آبائهم ومدرسيهم لوجهات نظرهم وعدم صرف الوقت اللازم لتحقيق ذلك. من المهم أن تضع نفسك في موضع ابنك، فمن شأن ذلك أن يبني علاقة حسنة معه.

٣- يدرك الشبان حينما يقيم ذوهم توازناً سليماً بين دفعهم وبين ترك الحرية لهم في التصرف. فإن بالغنا في دفعهم، أو امتنعنا كلياً عن ذلك فإن كلا الأمرين يجعلان العلاقة أكثر صعوبة مما يؤثر سلباً على حوافزهم. عليك أن تنتهز الفرص لإقامة نوع من التوازن في البيت وفي حياة ابنك وفي طريقة تعاملك معه.

٤- قد يبدو أن هنالك خيطاً رقيقاً يفصل بين جذب الطفل وبين دفعه ليفعل ما تريد، ولكن الفرق في الواقع هائل. فجذب الطفل يتطلب منك أن تبدي التفاؤل فيما يتعلق به وأن تعمل على مساندته وتشجيعه، وأن تمتنع عن معاقبته بقسوة، وأن تتقبل أخطاءه أو إخفاقاته وتركز على مساعدته من أجل رفع مستواه. وهذا يعني تشجيع ابنك على إبداء الرغبة بنفسه على الرفع من مستواه كطالب.

٥- لكي تكون أباً ناجحاً وفعالاً فلا بد لك من أن تحرص على أن تتعلم طوال حياتك، إذ إنك تتغير كما يتغير ابنك والعالم من حولكما. ولابد لك من إبداء الاستعداد للتفكير بمهاراتك كأب، أو بالمهارات التي يجدر بالآباء تبنيها إن كنت تود أن تحافظ على قدرتك على التأثير في حياة ابنك. وقد تحتاج كأب إلى مراجعة نفسك وإدخال الإصلاحات اللازمة على أسلوبك، أو أن تعدله بين وقت وآخر على أقل تقدير.

obeikandi.com

الفصل الثاني عشر

إعادة اجتذاب الطالب غير الملتزم بالدراسة

أجل، لقد وصلنا إلى النقطة الصعبة. ففي الفصل الرابع وصفت كيفية انزلاق الطالب من مرحلة الخوف من الفشل إلى تقبّل الفشل، (وهو ما يطلق عليه مسمّى العجز المكتسب أو عدم الالتزام). يبدأ هذا الانزلاق من الإرهاق الزائد في الدراسة، يلي ذلك التشاؤم الاتقائي، ومن ثم التخريب على النفس وعند ذلك يواجه الطالب خطر الامتناع كلياً عن الالتزام بواجباته المدرسية. يعالج هذا الفصل الاستراتيجيات التي يمكنك اتباعها بهدف جذب الطالب للالتزام بأداء أعماله المدرسية.

لا بدّ لي من التحذير منذ البداية بأن هذا النمط من الطلاب هم الأصعب تحوّلًا، فهم الفئة التي تملك أقل قدر من الاهتمام بالمدرسة أو الأعمال المدرسية، هذا إن كان لديهم أي قدر من الاهتمام. وهم لا يكثرثون فيما إن كانوا سيرسبون أو سيتركون

المدرسة نهائياً (أو يطردون منها)، وهم يؤمنون إيماناً راسخاً بأنه ليس أمامهم من سبيل يجنبهم الفشل أو يمكّنهم من تحقيق النجاح، وأن كل ما يفعلونه سينتهي نهاية سيئة. إنهم يتقبلون الفشل تقبلاً كلياً بحيث يصبحون عاجزين عجزاً تاماً عن مواجهته.

ينشأ عدم الالتزام في الكثير من الأحيان عن سلسلة متتابعة من سوء الأداء أو التجارب غير السارة التي تترافق مع نظرة شديدة التشاؤم أو



تتسم بالعجز الكلي. وعلى هذا الأساس لا تكفي محاولة تحويل تجارب الطالب بأسلوب من شأنه فقط كسر هذه الدائرة من الشعور بالمرارة (لفترة وجيزة على الأقل)، بل لأبداً كذلك من محاولة التحول عن هذا الشعور بالسلبية والعجز الكاملين.

الكثير من الاستراتيجيات التي ناقشتها حتى الآن في هذا الكتاب من شأنها المساعدة في معالجة وضع الطالب غير الملتزم، خاصة ما ورد في الفصل الرابع حول القدرة على التحكم بالأمور وذلك نظراً لأن السمة الأساسية لدى الطالب غير الملتزم هي شعوره بانعدام قدرته على التحكم بأموره. كما قد تود مراجعة الفصل الثالث الذي يبحث في موضوع الإيمان بالذات - خاصة ذلك القسم الذي يعالج مسألة المهمات المطلوب إنجازها. وسأناقش في هذا الفصل إلى جانب ذلك أموراً أخرى قد تود النظر فيها وهي:

- الحفاظ على صحة ابنك العقلية.
- التعمق في قضية التحكم بالأمور وتفسير وجهات النظر التي يتبناها ابنك في هذه الأمور.
- العودة إلى الجذور الأساسية.
- تجزئة الأجزاء إلى أقسام أصغر.
- الارتباط بالمدرسة.
- كسر دائرة الفشل.
- بناء استراتيجيات ومهارات أفضل.
- إبداء روح التجديد والإبداع.
- الحصول على نوع من المساندة لنفسك.

حماية صحة ابنك العقلية

أود مناقشة مسألة الصحة العقلية أولاً نظراً لأن عدم الالتزام يترافق عادة مع الإصابة بالاكتئاب. وتشير الأبحاث إلى أن الشخص غير الملتزم قد يمر بحالة من الغضب والقلق الشديدين في المراحل الأولى من شعوره بالعجز ثم يصل إلى حالة اكتئاب، وقد يؤدي ذلك بهؤلاء الطلاب إلى الاعتقاد اعتقاداً جازماً بأنه ليس لديهم ما يمكنهم فعله للتأثير على ما سيواجهونه من نتائج في مسار حياتهم (لتجنب الفشل أو لتحقيق النجاح على سبيل المثال). ويتوصل هؤلاء الطلاب بالتالي إلى الشعور باليأس وإلى تخليهم عن أي قدر من الأمل. دائرة الأداء المتردي المستمر هذه تغذي شعوراً بالسلبية الشديدة. هذا المزيج من الشعور بالعجز والسلبية من شأنه أن يفتح الطريق إلى الإصابة بالاكتئاب.

عند ذلك تصبح الصحة العقلية للطالب هي العنصر الأهم - أهم من درجاته. وأود أنؤكد هنا بأن عليك كأب أن تسعى للحصول على مساعدة طبية متخصصة إن اعترت ابنك حالة من الاكتئاب أو أخذ يعاني من القلق. راجع مركزاً للصحة العقلية أو عيادات الطب النفسي أو عيادات علم النفس. قد يساعدك الطبيب العام بإحالتك إلى إحدى هذه العيادات، والأفضل أن يكون هذا الأخصائي مختصاً بالصحة العقلية للأطفال أو المراهقين.

حماية صحة ابنك العقلية تتطلب أيضاً أن تظل قريباً منه وألا تستثير سخطه، وقد يتوجب عليك أن تكبح أحكامك وأن تحجم عن التعبير عن خيبة أملك وحنقك وغضبك بسبب وضعه. ربما تكون هذه فرصتك لكي تبين له بأن قيمته كشخص تحتل مرتبة الأولوية وتتفوق على اهتمامك بسجل مساره المدرسي غير الباهر. لست أقول هذا عرضاً، فكثيراً ما يسبق عدم التزام الطالب بأداء واجباته المدرسية تاريخٌ من الشعور بالمرارة والاستياء لدى كل من الطالب والأب/ الأم. ليس من السهل أن توضع كل هذه المشاعر جانباً في الوقت الذي يتطلب فيه الأمر أن توجه جهودك للمسألة التي تحتل موضع الاهتمام الأول، وهي صحة ابنك العقلية.

السبب الذي يدفعني لحثك على التقرب من ابنك وإحاطته بحنانك وليس إثارة سخطه هو أن فرصتك لدفعه للعودة للالتزام بدراسته من جديد ستكون أفضل مادام يتمتع بصحته العقلية. كما أن هنالك فرصة أكبر في هذه الحالة لتقبّلك تدخل شخص آخر (مثل موجه في المدرسة أو مدرب أو مدير أو صديق أو مدرّس) ممن له نفوذ إيجابي يحتاج إليه ابنك.

لست أريد إثارة مشاعر الفزع لديك بيدئي لهذا الفصل بهذه الطريقة، إذ إن هنالك الكثير من الطلاب غير المتزمين بدراساتهم ممن يتمتعون بصحة عقلية تامة. هنيئاً لك إن كان ابنك من هذه الفئة من الطلاب (وإن كان هذا الوضع لن يسّري عنك كثيراً مادام غير ملتزم بدراسته). غير أن هنالك ترابطاً بين الشعور بالعجز والاكتئاب والقلق كما سبق وذكر، وطلب المساعدة الطبية في هذه الحالة هو أمر هام إن كانت وضعية ابنك تستدعي ذلك.

لابدّ لي من ذكر بعض الأسباب الأخرى التي قد تدفع الطالب إلى عدم الالتزام بالمدرسة، وهي تتعلق أيضاً بالصحة العقلية. أول هذه الأسباب هي أن الطالب ربما كان يواجه مشكلات اجتماعية في المدرسة مما يجعله يرفض جوانب أخرى تتعلق بالدراسة مثل أداء الفروض المدرسية والدراسة وذلك لسبب آخر هو أنه ربما كان هنالك من يتمرّ عليه ويضطهده من زملائه في المدرسة. والطالب الذي يتعرض لمثل هذا التمرّ تتحول المدرسة لديه إلى مكان يثير فزعه بحيث لا يبقى هنالك أمامه مجال للشعور بالارتباط بأمور الدراسة وأداء الفروض المدرسية. غير أنه، بما أن هذا الكتاب يركز على معالجة الجوانب الأكاديمية المتعلقة بتعزيز الحوافز فإن هاتين النقطتين الأخيرتين لا تدخلان ضمن نطاق برنامج بحثنا، وإن كان من المهم لنا أن نشير إلى أن هاتين المشكلتين قد تؤثران على التزام الطالب بالدراسة. لابدّ لك من أن تكون مستعداً للتحديث مع ابنك بكل صدق وشفافية حول هذه الأمور. ابحث الأمر مع المدرسة إن كنت ترتاب بوجود من يتمرّ على ابنك، (تقصّ الأمر مع مدرّسه أو المنسق الطلابي أو الموجه أولاً) واستفسر عن سياسة المدرسة والإجراءات التي

تتخذها في حالة وجود مشكلة تتعلق بتمرُّ البعض من الطلاب على زملائهم. ابحث عن أية إمكانيات لمساندة ابنك في هذه الفترة الصعبة وحاول قراءة بعض الكتب التي تتناول موضوع التمرُّ هذا .

تعمّق في موضوع قدرة ابنك على التحكم بأموره وأسلوبه في تفسير هذه الأمور

الشعور بضعف القدرة على التحكم بالأمور يقع في رأس القضايا التي تتبئ باحتمال الوصول إلى الإحساس بالعجز. فعندما يعتقد الإنسان بأنه لا يستطيع التأثير على ماسيواجهه في حياته من نتائج فهو يحسّ بالعجز. وعندما يترافق ذلك مع ضعف مستمر في الأداء فإن الحالة قد تتردى بحيث ينتهي الأمر بالطالب إلى الاستسلام.

ناقشنا في الفصل الرابع، كما قد ذُكر، موضوع التحكم بالأمور والعوامل التي تثير لدى الطفل الشعور بأنه فقد القدرة على التحكم بشؤونه. أحد هذه الأمور هو الملاحظات الارتجاعية التي تزود ابنك بها، وأهمية ثبات هذه الملاحظات على نحو متّسق وبنائها على أساس العمل أو النشاط الذي قام به ابنك أكثر من تأسيسها على العلامة التي حصل عليها نتيجة لأدائه ذلك العمل. وأعود هنا إلى مناقشة موضوع الملاحظات الارتجاعية حول أداء ابنك لأن الشعور بالعجز لدى الأطفال يرتبط، كما تبين الدراسات، بنمط الملاحظات الارتجاعية التي يتلقونها من مدرسيهم وذويهم. ينطبق هذا بشكل خاص على الملاحظات الارتجاعية التي تركز على النتيجة أكثر مما تركز على مسار عمل الطالب والتي تبين أنها ترتبط بالشعور بالعجز.

بينت في الفصل الرابع كذلك أن الأسلوب الذي ينظر من خلاله الطالب إلى أسباب حصول حدثٍ ما إنما يؤثر على إحساسه بالتحكم بالأمور. بعبارة أخرى، فإن الطريقة التي يفسر بها الطالب أسباب حدوث أمر ما إنما تؤثر على إحساسه

بقدرته على التحكم بشؤونه. يطلق على هذا الأمر مسمى «الأسلوب التفسيري» لدى الطالب، وهو الأسلوب الذي ينتهجه الطالب عادة لتفسير الأحداث التي تقع في حياته ونتائج هذه الأحداث. ولقد ناقشت في الفصل الرابع أحد أوجه الأسلوب التفسيري لدى الطالب، وهو ذلك الذي يتعلق بإمكانية التحكم بحدث ما. ومن الأمثلة على العوامل التي يمكن التحكم بها مقدار العمل الذي يقوم به الطالب، وكيفية قيامه بهذا العمل، والمكان الذي ينجزه فيه وطريقة عرضه لهذا العمل. أما العوامل التي لا يمكنه التحكم بها فهي تشمل أسئلة الامتحان، والحظ الذي يواتيه وهل هو سيء أم حسن، والعلامات التي يمنحها له المدرس وما إلى ذلك من الأمور. وكلما ركز الطلاب على العوامل القابلة للتحكم في حياتهم كلما شعروا بأنهم قادرون على التحكم بأمورهم.

سأبحث في هذا الفصل في مظهرين من مظاهر الأسلوب التفسيري الذي يتبناه الطالب وهما: المدى الذي ينظر من خلاله إلى أسباب حدوث حدث ما على أنها إما أسباب شاملة أو محدودة، ومدى كون أسباب هذا الحدث إما قابلة أو غير قابلة للتغيير. وتجدر الإشارة إلى أن مجرد التركيز على قدرة المرء على التحكم بأموره هو أمر كافٍ بالنسبة لمعظم الناس. غير أن الوضع يتطلب تدقيقاً أكبر لتحديد الأسلوب التفسيري لدى الطالب الذي يتصف مساره الدراسي بعدم الالتزام.

إنجريد - السنة الثانوية النهائية وما بعدها

إنجريد طالبة ذكية في السنة الدراسية الثانوية الأخيرة. ولكنها، وإن كانت قد أبلت بلاءً حسناً في مراحل دراستها الثانوية السابقة غير أن أدائها في السنة النهائية كان أدنى مما كانت هي وذووها يتوقعون، وقد ترك ذلك أثره الكبير عليها. لم تكن تحتاج لجهد كبير كي تتجح في مراحل دراستها السابقة، غير أن ذلك أخذ يحتاج لمجهود أكبر في السنة النهائية، وهو مالم تكن إنجريد معتادة عليه. وبمرور الوقت أصبح أداؤها دون إمكانياتها الفعلية. كان هذا يمثل بالنسبة لها سلسلة من الفشل المتتابع. ترك ذلك أثره على احترامها لنفسها الذي أصبح هشاً (إذ أخذت تبني احترامها لنفسها على أساس مدى حسن أو سوء أدائها آخر مرة). ورافق ذلك تدهور في مدى إيمانها بقدرتها على التحول عن هذا المسار السيء (أي تدنت قدرتها على التحكم بأمورها). وبذا أخذت تبتعد أكثر فأكثر عن تحقيق النجاح وبدأت بالتالي تفقد الأمل.

فما زاد الأمور سوءاً أن والدها أخذ ينهال عليها بالتأنيب الشديد كلما أظهرت أداءً متدنياً. الأسوأ من ذلك أنه لم يركز فحسب على إخفاقاتها دونما الاعتراف بنواحي النجاح لديها، بل أخذ يعلن بأنه لا يتوقع لها أن تستطيع تحويل مسار وضعها.

دمر ذلك احترامها لنفسها بحيث وصلت إلى درجة فقدان الأمل كلياً في تحقيق النجاح. عند ذلك قررت بأنها لا تستطيع احتمال حالة أخرى من تدني أدائها، وعلى هذا الأساس قررت ترك المدرسة في الشهر الأخير من سنتها الثانوية النهائية ودون أن تستشير أحداً بشأن هذا القرار. لم تفلح كل جهود مدرسيها في ثنيها عن عزمها هذا، ولم تظهر طوال عشر سنوات أية نية على الإطلاق لاستكمال دراستها.

أخذت إنجريد تعمل عملاً مكتبياً بعد تركها المدرسة لكي تستطيع الاعتماد على نفسها وتركت بيت العائلة. أبلت في عملها بلاءً حسناً، ونتيجة لنجاحات صغيرة حققتها في هذا المضمار أخذت تستعيد إحساسها بقيمتها.

كانت النقلة الشجاعة عندما قررت الانضمام إلى فرقة تمثيل تتكون من هواة يمارسون نشاطهم خلال عطلة نهاية الأسبوع، وكان هذا ما تطمح إليه منذ وقت طويل وتعتقد أنها قد لا تؤدي فيه أداءً سيئاً. وبذا أصبحت تحقق النجاح في عملها، كما أخذت تلقى قدراً كبيراً من المساندة من أفراد الفرقة المسرحية لدفعها لتطوير المزيد من المهارات في هذا المجال الجديد، وبذا أصبحت قادرة على إعادة بناء قدرتها على التأثير وعلى التحكم بشؤونها.

والآن، وبعد مرور عشر سنوات عن انقطاعها عن الدراسة أصبحت تعيش حياة مثمرة وسعيدة. غير أنه كان يمكن لأمرها أن تمضي في اتجاه سيء جداً عندما تركت المدرسة. وقد نُقل إليّ أنها كانت تفكر بالانتحار، وأن الأمور كانت ستسير باتجاه مأساوي جداً لولا المساندة التي لقيتها من صديقات كنّ شديداً القرب منها.

يمكننا أن نوجز مسار عدم الالتزام لدى إنجريد بسلسلة من العلامات المتدنية، وتركيز والدها المبالغ به على فشلها وتجاهله لنواحي النجاح في دراستها، واعتقاده بأنها لا تملك من القدرات ما يمكنها من التحول عن ذلك المسار. ولكنها استطاعت إنقاذ إحساسها بالأمل بكسرها لدائرة الفشل وتحقيقها بعض النجاحات الصغيرة، وانغماسها في العمل مع مجموعة صغيرة ساندتها وساعدتها على بناء إحساسها بقيمتها وقدرتها على التحكم بأمرها وبإيمانها بإمكانية تطوير مهارات جديدة في ميدان آخر.

غير أنني أعتقد أنه كان بإمكانها كسر تلك الدائرة أثناء دراستها لو أن والدها اتخذ موقفاً يتسم بمساندة أكبر مما كان سيسهل عليها إتمام دراستها، ويحول دون وصولها إلى ذلك الدرك الذي دفعها لدرجة التفكير بالانتحار. لاشك بأنه كان يمكن للأمور أن تختلف لو أن أسس قدرتها على التحكم بشؤونها عولجت بطريقة أفضل. وكان من حسن حظ إنجريد وأصدقائها أن تحولت في النهاية بذلك الاتجاه.

الأسباب الكاسحة مقابل الأسباب المحددة

قد يلجأ الطلاب إلى تفسيرات مركزة وهادفة لدى إيضاحهم أسباب رسوبهم في اختبار ما (أي يعيّنون أسباباً محددة)، وقد يلجؤون لتفسيرات كاسحة أكثر تعميماً (أي يذكرون أسباباً كاسحة وغير محددة)، وإليك مثلين على ذلك:

تفسير محدد: «لم أدرس جيداً لهذا الامتحان». تفسير كاسح: «لست أدرس جيداً». أحد التفسيرين، كما ترى، ينحو باتجاه التركيز والتحديد ويقتصر على اختبار واحد معين. أما التفسير الثاني فهو عام وكاسح وينطبق على مجمل سمات حياة الطالب الدراسية. لاشك بأن التفسير الكاسح سيثير لدى الطالب الشعور بالعجز أكثر مما يفعل التفسير المحدد. فالتفسير الكاسح يصم الطالب بالعجز عن الدراسة بينما يشير التفسير المحدد إلى أنه كان يمكن للدراسة لذلك الاختبار بالذات أن تكون أفضل، دون أن تفسد شعور الطالب بالأمل في أداء أفضل في الاختبار التالي، من الواضح إذن أن علينا أن نوجه برفق تفسير أبنائنا إلى التفسيرات المحددة. عليك أن تحاول وضع سياق حول تفسيراته بحيث لا تؤثر على الجوانب الأخرى من حياته المدرسية أو دراسته. فالطلاب الذين يشعرون بالعجز يلجؤون عادة إلى التفسيرات الكاسحة إزاء ضعف أدائهم. وعليك أن تحترس من هذا النمط من التفسيرات وأن تحاول كبجها برفق بالتركيز على حادث أو وضعية معينة فقط.

الأسباب القابلة وغير القابلة للتغيير

السمة الأخرى للأسلوب التفسيري للطلاب هو مدى اعتبار تفسيراتهم على أنها تعزى لعوامل قابلة للتغيير أو غير قابلة للتغيير، إذ عندما يقدم الطلاب تفسيرات لأسباب فشلهم في الأداء في اختبار معين فهم قد يركزون على عوامل يمكن إدخال تغييرات عليها في المرات القادمة (أي يحددون أسباباً قابلة للتغيير) أو على عوامل لا يمكن تغييرها فيما بعد (أي يحددون أسباباً غير قابلة للتغيير). ومن الأمثلة على

هذين النمطين من التفسيرات:

تفسير قابل للتغيير: «لم أدرس جيداً لهذا الاختبار».

تفسير غير قابل للتغيير: «مدرسي يبعث على اليأس».

التفسير الأول يبقي الباب مفتوحاً أمام الاختبار التالي - إذ يمكن للطلاب أن يبدل نوعية دراسته في المرة القادمة، وبذا فهو يركز على سبب للفشل يمكن تغييره. وعلى الرغم من أن الطالب لا يغمره شعور جيد إزاء فشله فإنه أقل ميلاً للإحساس بالعجز لأنه يتمتع ببعض القدرة على التحكم بأموره، بحيث يغيّر النتيجة في المرة القادمة. أما التفسير الثاني فقد يغلق باب الأمل، ذلك لأن المدرس نفسه قد يتابع تدريس الطالب طوال العام ولن يكون تدريس هذا المدرس أفضل (في نظر الطالب)، ولذا فإن العامل الذي كان سبباً في فشله في الاختبار قد يكون موجوداً في الاختبار التالي. وهذا، في نظر الطالب، سبب غير قابل للتغيير لأدائه المتدني مما يشكل تربة خصبة لفقدان الأمل والانحدار إلى الشعور بالعجز.

المزيج الكامل: نظرة قابلة للتحكم وللتغيير وللتحديد:

ما الحيلة إذن؟ علينا أن نتعرف على العوامل الموجودة في حياة الطالب والتي تعكس المكونات الحيوية الثلاثة التي تبعث الأمل والتفاؤل في حياته: وهي العوامل القابلة للتحكم وللتغيير والتحديد. ولقد قمت بهذه العملية نيابة عنكم، إذ أوردت فيما بعد قائمة بعدد من التفسيرات التي يستخدمها الطلاب حين يكون أداؤهم سيئاً، وأشارت إلى أنها تلبي المقاييس الثلاثة المطلوبة التي تدعم قوة الطالب. كما ركزت على الأداء المتدني نظراً لأن الطالب غير الملتزم قد وصل إلى هذه النقطة إثر سلسلة متتالية من الأداء الضعيف.

قد تتوصل إلى قناعة موثوقة، عندما تتفحص هذا الجدول، بأن قابلية التحكم والتغيير أمران مطاطيان، وعلى هذا الأساس فما هو قابل للتحكم والتغيير بالنسبة لطلاب ما قد لا يكون كذلك بالنسبة لطلاب آخر. وسأشرح كلاً من العوامل الثلاثة على حدة وأبين لماذا صنفتها على هذا الأساس.

«لم أدرس للاختبار بما فيه الكفاية»، هذا أمر محدد وقابل للتغيير والتحكم.

وهو نمط الأسلوب التفسيري الذي يمدّ الطالب بالقوة.

«وضعي ميئوس منه في مادة الرياضيات»: هذا قد يكون قابلاً أو غير قابل للتحكم تبعاً لنظرة الطالب فيما إن كان يعتقد بأن بإمكانه تحسين قدراته في مادة الرياضيات.

وهو قابل أو غير قابل للتغيير تبعاً للجهد المبذول والاستراتيجية الدراسية المتبعة من قبل الطالب. كما أن الأمر غير محدد تماماً حيث أن الطالب يعبر عن رأي كاسح حيث يقول إن وضعه ميئوس منه في الرياضيات، ولا يصرح مثلاً فيما إن كان يحتاج للمزيد من الجهد في حساب التفاضل والتكامل مثلاً.

نحو تفسيرات تمدّ الطالب بقوة أكبر			
رسبت في اختبار الرياضيات لسبب	قابل للتحكم	محدد	قابل للتغيير
لم أدرس بالقدر الكافي.	نعم	نعم	نعم
وضعي ميئوس منه في الرياضيات.	؟	لا	؟
كان الاختبار صعباً.	لا	لا	نعم
المدرس يكرهني.	؟	لا	نعم
المدرس بخيل في إعطاء العلامات.	لا	لا	لا
مجرد سوء حظ	لا	لا	نعم
أسأت فهم السؤال	نعم	نعم	نعم
لم أقرأ الإرشادات بعناية	نعم	نعم	نعم
لم أركز بما فيه الكفاية في دراستي	نعم	نعم	نعم
لا أتمتع بالذكاء الكافي	؟	لا	؟

كان الاختبار صعباً جداً: هذا أمر لا يمكن للطالب التحكم به لأن صعوبة أو سهولة الاختبار أمر لا يمكنه التحكم به. وهو غير محدد لأنه لا يحدد الأجزاء الصعبة من الاختبار.

المدرس يكرهني: قد يكون هذا الأمر قابلاً أو غير قابل للتحكم به ولتغييره اعتماداً على قدرة الطالب على التصرف بحيث يستطيع الفوز بعطف المدرس، وهو أمر غير محدد حيث أنه قول كاسح. ولو أن الطالب قال «المدرس لا يرتاح لسلوكي» لكان هذا القول أكثر تحديداً.

المدرس بخيل بإعطاء العلامات: هذا أمر غير قابل للتحكم حيث أن الطالب لا يستطيع التحكم بمقاييس العلامات. كما أنه غير محدد حيث أنه يصف أسلوب المدرس عامة في إعطاء العلامات، ولا يحدد ذلك باختبار معين. كما أنه أمر غير قابل للتغيير من ناحية الطالب.

مجرد سوء حظ: هذا أمر غير قابل للتحكم حيث أن حسن أو سوء الحظ هو قضية خارج نطاق تحكم الطالب، وهو غير محدد حيث أن الحظ مسألة كاسحة وغامضة والحظ أمر لا يمكن تحديده أو تحديده بسهولة.

لم أقرأ الإرشادات بعناية: هذا أمر محدد وقابل للتحكم وللتغيير - نمط من التفسير يمد الطالب بالقوة.

أسأت فهم السؤال: هذا أمر محدد وقابل للتحكم والتغيير - نمط من التفسير يمد الطالب بالقوة.

لم أركز بما فيه الكفاية في دراستي: هذا أيضاً أمر محدد وقابل للتحكم والتغيير - نمط من التفسير يمد الطالب بالقوة.

لا أتمتع بالذكاء الكافي: هذا الأمر قد يكون قابلاً أو غير قابل للتحكم اعتماداً على ما إذا كان الطالب يعتقد بأنه يستطيع رفع مستوى ذكائه. كما أنه أقل قابلية للتغيير تبعاً للجهد المبذول والاستراتيجية المتبعة في الدراسة. وهو أمر غير محدد لأن الطالب أصدر قولاً كاسحاً شاملاً يتعلق بذكائه ولم يحدد الموضوع بالرياضيات مثلاً أو بمهارات معينة في الرياضيات.

أود هنا أن أقدم المزيد من الإيضاح حول التفسير الأخير. فالطلاب الذين يشعرون بالعجز كثيراً ما يلجؤون لهذا التفسير (لست أتمتع بالذكاء الكافي) لتفسير فشلهم. وهذا أمر خطر لأن هؤلاء الطلاب يقيّمون قدراتهم تقييماً متدنياً من هذه الناحية بالذات والتي يعتقدون عادة بأنها هي التي تقرر فيما إن كان أداؤهم سيكون حسناً أم لا. ومثل هذا التقييم المتدني لأنفسهم من شأنه أن يفقدهم الأمل. وتشير الأبحاث إلى أن هؤلاء الطلاب قد يلجؤون لتشويه ماضيهم بأسلوب يقلل من شأنهم. وهم يفعلون ذلك بطريقتين: أولاً يتم بمراجعة التفسيرات التي أعطوها لنجاحهم السابق. ففي حين كانوا قد أعلنوا في السابق بأن أداؤهم كان حسناً لأنهم بذلوا قصارى جهودهم أو درسوا بأسلوب فعّال (وهو أسلوب تفسيري جيد)، فإنهم يعلنون حين يقعون تحت تأثير الشعور بالعجز بأنهم رسبوا لأنهم لا يتمتعون بالذكاء الكافي لتحقيق النجاح (وهو أسلوب أقل عوناً). أما الطريقة الثانية التي يتبعونها لتشويه ماضيهم فهي باختيار نسيان ما حققوه من نجاحات مع تذكر إخفاقات أكثر مما واجهوه فعلاً في الماضي. وبعبارة أخرى فإنهم لا يتمتعون فحسب عن الفخر بما كانوا قد حققوه في الماضي من نجاحات، بل إنهم يجلدون أنفسهم أيضاً بسبب إخفاقات تتجاوز ما واجهوه في واقع الأمر.

فما البديل بالنسبة لهم إذن؟ عليك أن تعتمد إلى تشجيعهم برفق على تبني تفسيرات تشابه تلك التي ذكرناها في الحقول الثلاثة من الجدول السابق والتي أشرنا عليها إشارات إيجابية (نعم). فهذه التفسيرات إنما تمثل أسلوب التفسير الأمثل نظراً لأنها تشمل العوامل التي يستطيع الطالب التحكم بها، وهي تركز على السلوك المحدد أو الوضعية المحددة، وهي بالتالي قابلة للتغيير من وضعية إلى أخرى، وهذا هو حجر الزاوية في بث الأمل في نفس الطالب ومدّه بالقوة.

أود أن أقول قبل أن أختم هذا الفصل الذي يتحدث عن موضوع القدرة على التحكم بالأمور أن الشعور بهذه القدرة قد يكون فعلاً بمثل فعالية القدرة الواقعية على التحكم. وهذا يعني أنه قد يكون كافياً أن يعتقد الطالب بأنه، على الرغم من

أنه غير قادر على التحكم بأموره في الوقت الراهن فإنه، إن حاول بذل المجهود اللازم وعمل بصورة تتسم بالفعالية فسيستطيع التحكم بأموره. وتشير الأبحاث إلى أن أولئك الذين لا يملكون القدرة على التحكم بأمورهم ولكنهم يعتقدون بأنهم سيفعلون ببذل الجهد واتباع الاستراتيجية الصحيحة إنما يحققون أداءً يماثل أداء من يملكون القدرة الفعلية على التحكم بأمورهم. وهذه فكرة تمدّ المرء بالكثير من القوة، وحينما يمتلك المرء القوة فإنه قلما يشعر بالعجز.

الرجوع إلى الأمور الأساسية

قد يجدر بك أن تتخلى عن بعض توقعاتك الطموحة والصارمة عندما يتبين لك أن ابنك يظهر بوادر عدم الالتزام بأعماله المدرسية أو استسلامه الكلي - على أن تحدد في الوقت نفسه مجموعة جديدة من الأهداف التي تسعى لتحقيقها. فتوقعاتك حول تحصيله علامة ممتازة قد لا يمثل طموحاً واقعياً في هذا الوقت بالذات.

وقد يكفي حمله على الذهاب إلى المدرسة مما قد يمثل نصراً في هذه الحالة، أو دراسته صفحة واحدة استعداداً للاختبار مما قد يمثل إنجازاً. ما أعنيه هو أن عليك أن تعود إلى الأسس لبعض الوقت.

المبدأ الأساسي الأول هو محافظتك على علاقة حسنة مع ابنك، إذ إنه بذلك سيستمع لك، وسيظل تأثيرك يمثل عاملاً مؤثراً بالنسبة له. وهذا أمر حسن، علماً بأنني قدمت في الفصل الحادي عشر تفاصيل تتعلق ببناء علاقة حسنة مع ابنك والحفاظ على هذه العلاقة.

المبدأ الثاني هو التركيز الفعلي على مسار العملية الدراسية مع وضع النتائج في الخلفية مؤقتاً. ويشمل ذلك التركيز على الجهد (مدى الجهد الذي يبذله ابنك في إنجاز أعماله المدرسية)، وربما أفضل من ذلك على الاستراتيجية (نوعية ذلك العمل) وليس على العلامات أو الدرجات أو المقارنات مع غيره من الطلاب أو مع إخوته. كما تعني البدء بخطوات صغيرة - الدراسة لمدة نصف ساعة مثلاً قد يمثل بداية للعود من جديد.

المبدأ الثالث الذي يتوجب علينا تذكره هو ضرورة الاعتراف بالفضل لأصحابه الذين يستحقونه. عليك مثلاً أن تعترف بحقيقة أن ابنك ما يزال يذهب إلى المدرسة على الرغم من عدم التزامه بالدراسة وأداء الفروض المدرسية. فهذا الأمر إنما يمثل بارقة أمل تدل على وجود قدر من المثابرة، وهو أمر يمدّ ابنك بقوة هائلة عندما يعود للالتزام بالمدرسة. كما أن إقدامه على إنجاز وظيفة ما في مادة التاريخ مثلاً على الرغم من تعرضه لثلاث ضربات قوية متتالية في هذه المادة إنما يدل على نوع من التشبث والتماسك. لاشك بأنك تحسّ في داخلك بالخجل لأنك تشعر بالامتنان لأمر يعتبرها آباء وأمّهات آخرون أموراً مفروغاً منها. غير أن عليك أن تتذكر بأنك تجاهد مع ابنك للمحافظة على بقائه في المدرسة، ولا بدّ لك من أن تتطلع لتحقيق نعم صغيرة كلما، وأينما استطعت تحقيقها.

القاعدة الأساسية الرابعة هي أن تفعل ما قد لا تقدم على عمله في الأحوال العادية: وهو أن تقدم «مكافآت عرضية» لدى تحقيق ابنك انجازات (حسنة أو ربما مقبولة بعض الشيء). من هذه المكافآت العرضية مثلاً السماح له بمشاهدة برامج التلفزيون لفترة أطول، أو الخروج، أو تناول طعام يحبه، أو أي أمر آخر يجذب ابنك. ولا بدّ لي من القول هنا إن من الأفضل للطالب أن ينمي دوافع جوهرية أو داخلية لديه لإنجاز أعماله المدرسية – مثل الشعور بالرضا عن الجهد الذي بذله، أو العمل الجيد الذي أنجزه، أو الإحساس بالارتقاء أو تعلّم أشياء جديدة، وما إلى ذلك من الأمور. غير أن الطالب الذي يشعر بالعجز أو غير الملتزم لا يملك من الحوافز الداخلية إلا القليل، هذا إن كان يملك أي قدر منها. وقد يطول الانتظار إلى أن يطور الطالب بعض هذه الحوافز. وإلى جانب ذلك يمكننا القول إن الهدف من المكافآت العرضية هو دفع الطالب كي يبدأ مساراً لم يكن له أن يشرع به لو لم تشجعه عليه هذه المكافآت.

غير أن عليك أن تسرع في تقليص هذه المكافآت على مراحل بعد أن يبدأ ابنك في التصرف بالطريقة المرغوب بها. وأنا من ناحيتي مستعد لاتباع سياسة تتسم بالنفعية إلى حد كبير طمعاً في حل مشكلة الطالب غير الملتزم بالدراسة. أي أنني مستعد للقيام بأي عمل يمكنه أن يساعد في إعادته إلى جادة الصواب.

المبدأ الخامس هو البدء بخطوات صغيرة - صغيرة فعلاً. فمن الثابت أنه من الصعب استحداث تحول كامل لدى معظم الطلاب غير الملتزمين، ولذا فإن من الواجب ألا تكون هناك توقعات لا تتسم بالواقعية. فمثل هذه التوقعات قد تشلّ أكثر فأكثر مثل أولئك الطلاب. فكيف يمكن لنا أن نوفق بين هذا الأمر وبين ضرورة توفر توقعات إيجابية تتحدى الظروف لدى هؤلاء الآباء بالنسبة لأبنائهم؟ جوابي هو أن من الواجب أن تحمل تلك التوقعات قدراً من التحدي يتناسب مع الوضع الحالي للطلاب. كما يتوجب أن تكون هذه التوقعات قابلة للتحقيق في المستقبل القريب في حالة الطالب غير الملتزم. فمثل هذا الطالب تربيته أهداف او توقعات بعيدة المدى (مثل الوصول إلى الجامعة). عليك أن تبقي مثل هذه الأهداف في الخلفية مؤقتاً - ويمكن أن تنفض الغبار عن التوقعات بعيدة المدى بعد أن يعود ابنك إلى المسار المطلوب بحيث تقدمها لابنك من جديد. ومن الأمثلة على الأهداف الصغيرة التي يمكن البدء بها، اعتماداً على طبيعة ودرجة التزام ابنك بدراسته:

- الانتظام في الدوام بالمدرسة.
- البقاء في المدرسة طوال اليوم الدراسي.
- إنجاز قدر ضئيل من الفروض المنزلية.
- محاولة إنجاز وظيفة ما.
- البدء بقراءة رواية على سبيل المطالعة.
- طلب المساعدة من أحد المدرسين.
- تسجيل بعض الملاحظات أثناء الدرس.
- الإنصات للمدرس أثناء الدرس.

تمثل هذه الأمور دون شك خطوات أساسية في رحلة عودة الطالب غير الملتزم إلى جادة الالتزام بمدرسته، وعليك أن تدرك بأن هذه ليست أموراً تافهة بالنسبة للطالب غير الملتزم. ولا بدّ لي هنا من أن أعيد وأكرر بأن قلبك قد ينفطر لأن عليك أن تكون ممتناً لأمر يعتبرها آباء وأمهات آخرون أموراً مفروغاً منها. غير أن عليك أن تعترف بواقع الحال وأن هذه الأمور إنما تمثل إنجازات حقيقية تمكنك على الأقل من المحافظة على صحتك العقلية على أقل تقدير.

تجزئة الأجزاء

استكمالاً لموضوع البدء بخطوات صغيرة أود العودة إلى فكرة التجزئة. قد تتذكر بأن عملية التجزئة تشمل خطوتين هما: تقسيم المهمات إلى أجزاء يسهل ابتلاعها واعتبار استكمال كلٍّ من هذه الأجزاء بمثابة نجاح. الخطوة الأولى حيوية حيث تجعل إنجاز العمل أكثر سهولة بالنسبة للطالب. أما الخطوة الثانية فهي حيوية لأنها توفر المزيد من فرص النجاح في حياة الطالب، وهو ما من شأنه أن يخلق لديه المزيد من الحوافز.

لاشك أن عملية التجزئة هذه إنما تمثل أمراً حاسماً تماماً بالنسبة للطالب غير الملتزم الذي يجد حتى المهمات السهلة عبئاً رهيباً ومربكاً. ويتوجب عليك لدى تجزئتك المهمات المطلوبة من ابنك إن كان غير ملتزم أن تتذكر بأن الجزء الذي يعتبر لقمة سهلة بالنسبة لمعظم الطلاب هو لقمة يصعب على ابنك ابتلاعها. تفحص مكونات المهمات والأعمال المطلوبة بدقة للتأكد من أنه يستطيع ابتلاعها، وسأعطيك مثالاً على ذلك:

قدمت لك في الفصل الثامن من هذا الكتاب الأجزاء التي يمكن أن يقسم لها موضوع مطلوب من ابنك. يشمل أحد الأجزاء البحث عن المعلومات التي تساعد في كتابة الموضوع. ويمثل هذا البحث بالنسبة لكثيرين جزءاً يستطيعون أنجازه دون أن يواجهوا أية مشكلة. غير أن ذلك قد يمثل عبئاً يرهب غير الملتزم، ولا بد له بالتالي من تجزئته أيضاً، وتشمل هذه الأجزاء:

- الاستفسار من المدرس عن الكلمات «المفتاح» التي يجب استخدامها لدى إجراء عملية البحث.
- الاستفسار من المدرس عن المراجع الجيدة المتصلة بالموضوع.
- تحديد المكتبات التي يتوجب على الطالب التوجه إليها للحصول على المصادر المطلوبة.
- الاستعانة بأحد العاملين في المكتبة لإجراء عملية البحث في أرشيف المكتبة.
- فهم أساليب العثور على الكتب عن طريق استخدام الأرقام الواردة في الأرشيف.
- فهم الأسلوب المتبع في المكتبة لاستعارة الكتب.
- معرفة أسلوب التصرف (إن لم يكن الكتاب موجوداً على رفوف المكتبة).
- معرفة أسلوب حجز كتاب ما.
- إجراء بحث آخر على شبكة الانترنت.
- تقرير المعلومات المفيدة والدقيقة التي تستخلص من شبكة الانترنت.
- حفظ أو طباعة المعلومات المستخرجة من شبكة الانترنت.

إنجاز كل هذه الخطوات قد يكون أمراً مريباً بالنسبة لبعض الطلاب ولذا فقد يجدر بك أن تحدّث عنها بأسلوب مبسط لكي لا تفزعهم. أما بالنسبة لطلاب آخرين فقد تمثل هذه قائمة يسهل عليهم تنفيذها في المدرسة أو المكتبة، بل إنهم يستمتعون بإنجاز كل جزء منها. العب اللعبة تبعاً لإمكانيات ابنك فأنت خير من يعرفه حق المعرفة.

الاتصال المستمر مع المدرسة والتعرف على موجه الطلاب فيها

أؤيد كل التأييد أولئك الآباء والأمهات الذين يبقون على اتصال مستمر مع المدرسة ومع مدرسي أبنائهم. فمثل هذا الاتصال لا يوفر للطلاب إحساساً بالصلة المستمرة بين المدرسة والبيت فحسب، بل إن من شأنه أن يمثل سنداً لا يستهان به

للمدرسين الذين يشعرون أحياناً بالانعزال فيما يتعلق بتعليم الطلاب، وهو يعني التوفير المستمر للمعلومات حول الطلاب مما يمثل استراتيجية موحدة وفعالة ينفذها البيت والمدرسة متعاونين معاً.

تكتسب هذه الصلة الإيجابية بين ذوي الطالب والمدرسة أهمية خاصة بالنسبة للطالب غير الملتزم. فمن واجبك إبلاغ المدرسة بأن ابنك لا يلتزم بدراسته، أو أنه في طريقه لعدم الالتزام (إن كانت المدرسة لم تبغفك هي بذلك)، وأن تستفسر عما يمكنك أن تفعله لمساندة الاستراتيجية التي تتبعها المدرسة لحمل ابنك على الالتزام من جديد بمتطلبات دراسته. قد تكون المدرسة أكثر خبرة منك في أساليب حمله العودة للالتزام بدراسته، ولذا يتوجب عليك أن تأخذ نصائح المدرسة مأخذ الجد الكلي. غير أنه يبقى أن نكرر من جديد بأنك الأكثر خبرة بوضع ابنك، ولذا لا بد لك من أن تدلي برأيك في هذا الصدد، على أن تفعل ذلك وأنت تبدي كل الاحترام لخبرة مدرسيه ولسعة تجاربهم.

أحرص لدى مراجعتك لمدرسة ابنك على التعرف على أية برامج قد تنظمها المدرسة لحمل الطلاب على العودة للالتزام بأعمالهم المدرسية كي ينضم ابنك إليها. استفسر عن أية برامج ربما كانت متوقفة ويمكن إعادة تنظيمها في هذا المجال، وتذكر أن ابنك لن يكون الطالب الوحيد غير الملتزم بدراسته في الغالب. ولذا فقد يسرّ المدرسة أن تنظم ما من شأنه توفير الفائدة لهذه المجموعة من الطلاب. كما يتوجب عليك إعلام المدرسة بأية أمور تتعلق بحياة ابنك مما قد يكون له تأثير على التزامه بأداء واجباته.

بما أن العلاقات تلعب دوراً رئيسياً في خلق الحوافز فمن المفيد أن تناقش مع المدرسة إمكانية وجود من يمكن له أن يقيم مع ابنك علاقة من شأنها تحفيزه. فقد تخصص المدرسة مدرساً أو موجهاً تعرف أن لديه خبرة سابقة في حمل الطلاب على العودة للالتزام بواجباتهم المدرسية. وقد يطلب ابنك مدرساً أو موجهاً معيناً لمساعدته.

لاشك بأن الكثير من المدارس تضع على رأس مهماتها موضوع دفع الطلاب غير الملتزمين إلى العودة للالتزام بواجباتهم الدراسية. ولذا فقد يقوم المدير نفسه بهذه المهمة، أو قد يبدي تقديراً خاصاً لأولئك الذين يقومون بها. إن دور الموجه هو بناء علاقات إيجابية داخل المدرسة. كما أن من مهمات المدرس والموجه أن يقدم النصيح فيما يتعلق بالنواحي التي قد تسبب بعض الارتباك أو الاضطراب للطلاب. إن الدور الذي يلعبه الموجه هو دور الرعاية، وعندما تتطور العلاقة مع المدرسين والإدارة لتشمل الالتزام الأكاديمي فإن هذا الأمر يحتل مكان الصدارة الأول.

دائرة الفشل والمتاعب

ذكرت في مواضع عديدة أن الافتقار للقدرة على التحكم تكمن وراء الإحساس بالعجز. ولا بد لي من أن أضيف هنا أن هذا الافتقار للتحكم إنما يتبع في كثير من الأحيان سلسلة من حالات الأداء المتدني أو الفشل. يمكن للطلاب عادة أن يصمدوا أمام حالات فشل معزولة (وإن كان أولئك الذين يفتقرون للقدرة الكافي من المرونة الأكاديمية قد لا يصمدون في هذه الحالة). فمعظم الطلاب يرون في حالة رسوب واحدة على أنها بمثابة تحدٍ لهم. غير أن تكرار الرسوب يصبح أمراً صعب الاحتمال حتى بالنسبة لأكثر الطلاب مرونة، ولذا فإنني أقترح، بالإضافة إلى تنمية قدرة أكبر في إمكانية التحكم كسر حلقة الفشل - لفترة من الزمن على الأقل.

من الواضح أن أحد سبل كسر حلقة حالة الفشل إنما تتم عن طريق خلق فرص أكبر للنجاح في حياة الطالب، وقد عالج الفصل الثامن من هذا الكتاب ذلك الموضوع ببعض التفصيل لدى مناقشة مسألة تجزئة المهمات وتوسيع النظرة إلى النجاح. وأود هنا مناقشة بعض الوسائل التي يمكن لذوي الطلاب ومدرسيهم اللجوء إليها للوصول بفرص النجاح إلى أقصى حدودها الممكنة.

إحدى هذه الوسائل إنما تتم عن طريق استراتيجية يطلق عليها مسمى «نصب السقالات (الرافعات)». وتشمل هذه تطوير صلات متزايدة وواضحة كل الوضوح بين أحد أجزاء مهمة ما وجزء آخر منها، والتأسيس لمنبر ثابت جداً يمكن للطلاب أن ينتقلوا عبره إلى المنبر التالي، ويعني هذا من الناحية العملية:

- قيام ذوي الطلاب ومدرسيهم بمراجعة مالى الطالب غير الملتزم من معارف قبل تقديم المزيد من المعلومات له.
- عدم الإسراع في تعليم الطالب أموراً جديدة.
- التأكد من فهمه لذلك الجزء من العمل المطلوب منه إنجازه قبل الانتقال إلى الجزء التالي.
- تزويد الطالب بإرشادات مفصلة وواضحة المعالم.
- حمل الطالب على إظهار فهمه لما تعلّمه قبل الانتقال لمرحلة أخرى.
- مراقبة أدائه لدى شروعه في وضع المعلومات أو المهارات الجديدة التي يتعلمها موضع التطبيق.
- منح الطالب وقتاً كافياً لإنجاز عمله.

استراتيجية أخرى يستخدمها بعض المدرسين تسمح للطلاب بأن يقدم أعماله المدرسية أو مواضيعه بأي شكل يرغب به. فالبعض منهم يفضلون تقديم أجوبتهم على شكل موضوع، بينما يفضل آخرون تقديمها على شكل حوار بين عدة أشخاص، أو على شكل صفحة على شبكة الانترنت، أو على شكل مناقشة وما إلى ذلك من الوسائل. ويلجأ المدرسون إلى ذلك بين آونة وأخرى لدفع الطالب للتقدم إلى الأمام ولتوفير أكبر فرص له للنجاح. استراتيجية مماثلة تقوم على تكليف الطالب بمهمات قليلة (سلسلة من الأسئلة القصيرة أو موضوع قصير أو تمرين عملي)، بحيث يسمح للطلاب بأن يختار واحداً من هذه الأساليب لموضوع يكتبه.

يختار الطلاب في غالب الأحيان الأسلوب الذي يوفر لهم أفضل الفرص للنجاح، ويمكن لهذه الاستراتيجية، إن انتهجت بين آونة وأخرى، أن تكسر حلقة الأداء المتردي نسبياً بالنسبة لبعض الطلاب.

يمكن لذوي الطلاب أن ينتهجوا بعض الاستراتيجيات في البيت أيضاً. ولا شك بأنه يمكن أن تسود في البيت، بالنسبة لبعض الطلاب غير الملتزمين، بيئة تسودها حلقة من العلاقات السلبية بين الطلاب وذوئهم، علماً بأن من شأن هذه الحلقة أن تتردى باستمرار وتزداد سوءاً بحيث يصبح كسرهما أكثر صعوبة، وجوّها مقيتاً أكثر فأكثر. بل إن هذه الحلقة نفسها تصبح هي التي تغذي عدم التزام الطالب وليس العكس - وهكذا تصبح الحلقة نفسها هي المشكلة الأساسية وليس عدم التزام الطالب بأدائه المدرسي. ولذا فإن من المهم كسر هذه الحلقة، علماً بأن بعض الآباء ينتبهون إلى الحلقة حين تبدأ في التردّي فيعمدون لإعلان «يوم خالٍ من المتاعب».

واليوم الخالي من المتاعب هو ذلك الذي يجاهد فيه الآباء بأقصى ما لديهم من قدرة من أجل:

- الكف عن تغذية الحلقة.
- غض النظر مؤقتاً عن بعض الأمور الصغيرة أو التافهة والتي تعمل على تغذية الحلقة عادة (وهي أمور ليست غير مشروعة، أو تؤذي الطالب أو أشخاصاً آخرين، أو تتجاهل القواعد المعمول بها في البيت بصورة صارخة وبطريقة استفزازية).
- محاولة عمل شيء لا علاقة له بالمشكلة ومن شأنه أن يدخل البهجة على نفس الطالب.
- ملاطفة الطالب والمزاح معه بدلاً من إجباره على القيام بأعمال معينة أو التسلط عليه.

- التحدث في أمور وقضايا «آمنة» وتجنب الحديث حول قضايا من شأنها ان تغذي حلقة العلاقات السلبية (مثل مدى تقدم الطالب في كتابة موضوع في مادة العلوم مثلاً).
- ممارسة أمور مع الطالب لا تتخذ نسبياً طابع النزاع.

تحتاج أنت وابنك ليوم راحة بين حين وآخر، فمثل هذا اليوم من شأنه إضفاء برودة على الأعصاب وإعادة «شحن البطاريات»، وتوفير فرصة لإعادة التفكير في الأمور. لست أدعو لتجاهل المشكلات أو التغافل عن الأمور على نحو دائم، بل هو كسر الدارة في الأوقات الحرجة. ومن المهم معرفة الأوقات التي تتصاعد فيها تلك الأمور ومداورة هذه الحالة بأساليب استراتيجية لبعض الوقت طمعاً في تجنب المواضيع المتعبة.

بناء استراتيجيات ومهارات أفضل

هنالك على سبيل الإجمال نمطان من الطلاب غير ملتزمين. فهناك أولئك الذين يملكون مهارات واستراتيجيات فعالة (فهم يستطيعون مثلاً إدارة وقتهم بطريقة حسنة، وتقرير أولوياتهم، وتجزئة مهماتهم وتحديد أهدافهم) ولكنهم قرروا الاستسلام لسبب أو آخر، أي أن هنالك نقصاً في الحوافز وليس في المهارات والاستراتيجيات لديهم. ثم هنالك الذين لا يملكون المهارات والاستراتيجيات المطلوبة، كما لا يملكون الحوافز ليطبقوا مثل هذه المهارات والاستراتيجيات بأنفسهم. الطلاب من هذه الفئة الثانية يصعب إجراء التحول المطلوب معهم لأنهم يفتقرون للمهارات والاستراتيجيات اللازمة. فإذا كان ابنك هو من هذا النمط فإن الفصلين اللذين يبحثان في الإيمان بالذات والقدرة على التحكم ليسا هما المهيمن فحسب، بل كذلك الفصل السابع الذي يناقش تطوير أداء أفضل للفروض المدرسية وللدراسة.

تقصت الأبحاث الأساليب الفعالة لبناء مهارات لدى الطلاب وحددت بالتالي خطوات رئيسية لهذا الغرض (وإن كنت قد أشرت من قبل إلى الحاجة لتقسيم هذه الخطوات إلى أجزاء أصغر). وهذه الخطوات هي:

١- الملاحظة.

٢- التقليد.

٣- التطبيق الاستقصائي.

٤- التحويل الشامل.

يقدم الجدول الذي سنورده فيما بعد تفسيرات وأمثلة على كل خطوة من هذه الخطوات الأربع.

التجديد والإبداع

لا بدّ من القول إن الأساليب السائدة في معالجة حالات الطلاب غير الملتزمين لم تثبت فعاليتها الكاملة. كما أن الأساليب التي يمكنها استعادة معظم الطلاب الآخرين غير الملتزمين قد لا تثبت فعاليتها بالنسبة لابنك. فتذكير الطلاب بأن يبدأوا الدراسة في مرحلة مبكرة من السنة الدراسية قد تتقبله نسبة لا بأس بها من الطلاب. والطلب منهم أن يكتبوا ملاحظات أثناء الأجزاء المهمة من الدرس ستتقبله نسبة لا يستهان بها أيضاً. والتأكيد على ضرورة تسليم المواضيع في التواريخ المحددة لها سيكون مقبولاً بالنسبة لمعظم الطلاب. وستشارك الأغلبية إذا طلب منهم إجراء اختبار سريع كل أسبوع. غير أنه سيظل عدد ضئيل من الطلاب الذين لا يلتزمون بمثل هذه الطلبات أو التوقعات. مثل هؤلاء الطلاب يحتاجون للمزيد أو أساليب أخرى، أساليب جديدة مبتدعة.

تشمل المواقف التجديدية ما يلي:

- نظاماً تعاقدياً (اتفاقاً رسمياً أو شبه رسمي بينك وبين ابنك).
- اعفاءات خاصة للطلاب تحمله على البدء بإنجاز بعض الأعمال المدرسية (تساهل في بعض معايير العلامات مثلاً).
- حوافز خاصة لدفعه للدراسة استعداداً للامتحان.
- خيارات متعددة بالنسبة لأسلوب تقديم واجب مدرسي.

أربع خطوات أساسية لبناء المهارات		
الخطوة	الوصف	مثال
١- الملاحظة	يحتاج الطلاب لرؤية المهارة أثناء تنفيذها: كيف تبدو وكيفية إنجازها. وقد يبدو من المهم عرض المهارة ضمن عدة مسارات أو وضعيات. وقد يكون من المهم أيضاً بالنسبة للطلاب أن يرى طرقاً عديدة لوضع المهارة موضع التطبيق. ويجدر به أيضاً رؤية النتائج الإيجابية لتطبيق المهارة.	يجلس الأب مع ابنته فيونا، ويحدثها عن الخطوات التي يتم من خلالها تنفيذ مشروع في مادة العلوم الاجتماعية. وبعد انتهاء حديثهما يتولى الأب كتابة قائمة بتلك الخطوات. وبعد ذلك يتناقشان حول الفائدة الممكنة من اتباع مثل تلك الخطوات في تنفيذ مشروع أفضل.
٢- التقليد	يحتاج الطلاب لتقليد المهارة في وضعية مشابهة إلى حد ما وموثقة بحيث يحتمل للطلاب إتقانها ونجاحها. كما يحتاج الأب أو المدرس لمراقبة الطلبة وإعطائهم ملاحظات ارتجاعية حول نواحي القوة وتلك الواجب تحسينها وطريقة هذا التحسين وللتأكد من نجاح العملية قد يعرضها الأب أو المدرس مرة ثانية.	بعد مناقشة القائمة واستكمال المواد المطلوب استخدامها وأية مواد أخرى قد تتطلبها يطلب الوالد من فيونا التفكير بمشروع مادة الجغرافيا المطلوب منها تنفيذه. يتحدثان عن الخطوات اللازم اتباعها لتنفيذ المشروع بنجاح، ويطلب الوالد من فيونا أثناء حديثهما تسجيل الخطوات على ورقة.

يشجع الأب فيونا على التفكير بكيفية استخدام التجزئة في الاختبار المقبل الذي سيجري في الصف. كما يشجعها على تطوير بناء استراتيجية للدراسة مستخدمة استراتيجية التجزئة.	يتمرن الطلاب على تطبيق المهارة بعيداً عن المدرس أو الأب ولكن في وضعية مشابهة لتلك التي تعلموا فيها تلك المهارة. وهنا يبدأ الطلاب باكتساب الإحساس بالاستقلالية والقدرة على التحكم بالأمور.	٣- التطبيق الاستكشافي
تبدأ فيونا برؤية مهام جديدة في حياتها وقد جزئت إلى أجزاء أصغر. أحد الأمثلة هو استعداداتها للمسرحية التي ستمثل في المدرسة، وتنفيذ صفحة على الانترنت للدعاية للمسرحية.	يتدرب الطلاب على تطبيق المهارة بمعزل عن المدرس أو الأب وفي وضعية مختلفة تماماً عن تلك التي تعلموا فيها تلك المهارة لأول مرة. وهنا يكتسبون الإحساس باستقلاليتهم وإمكانية تحكمهم بالأمور بإبداء قدرتهم على التعامل مع وضعيات جديدة تمثل قدراً من التحدي.	٤- التحول الكلي

- نشاطات من خارج المنهاج (رياضة أو هوايات أو ارتياد النادي مثلاً) بهدف تعزيز طاقة الطالب.
- عمل جزئي قد يخلق المزيد من الحيوية في حياة الطالب.
- انتظام الطالب في دورة يميل لها (تعليم مهني مثلاً).
- نشاطات اجتماعية تربط الطالب بالمجتمع.
- دروس خاصة يتلقاها الطالب من زميل لتخفيف الضغط الذي يشعر به إزاء سلطة المدرسين أو الأبوين.

هذه مجرد أفكار قليلة، علماً بأن القائمة تتسع للكثير من الأمور الأخرى. ابحث مع مدرسي ابنك أفكاراً تجديدية أخرى يمكنك استخدامها لدفعه للالتزام بأداء فروضه المدرسية بصورة أكثر فعالية. لا شك بأن بعض هذه الاقتراحات لن تؤدي إلى تحسين الأداء المدرسي للطلاب بصورة مباشرة، غير أن إشعال فتيل أي نشاط منتج قد يكون نقطة انطلاق هامة بالنسبة لبعض الطلاب الذين يعانون من الشعور بالعجز.

الحصول على مساندة لذوي الطالب:

لا شك بأن المهمة التربوية التي يحملها الآباء والأمهات على عاتقهم هي مهمة شاقة. ولكن الأصعب والأشق هي مهمة ذوي الطلاب غير الملتزمين بأداء فروضهم الدراسية أو أولئك الذين يتقبلون الفشل ويسيطر عليهم الشعور بالعجز. ولذا لا بدّ لهؤلاء الآباء والأمهات من الحصول على مساندة من نوع ما وعلى فرصة للتخلص من التوتر والاسترخاء في الأوقات الحرجة.

يمكن أن تتم هذه المساندة بطرق رسمية وأخرى غير رسمية. وتشمل الأولى مساندة من مختصين (من أخصائيين في علم النفس، أو أطباء نفسيين، أو موجهين أو مرشدين اجتماعيين)، أو بحضور جلسات مساندة منظمة يحضرها آباء وأمهات يعانون من المشكلة نفسها، أو بتوفير خطوط اتصال مخصصة لهذا الغرض. أما المساندة غير الرسمية فقد تتم بمساعدة قريب أو صديق، أو بقراءة كتاب، أو عن طريق الحوار مع أناس يعانون من المشكلة نفسها عن طريق «الدرشة» بواسطة شبكة الانترنت. ويشترط أن لا تقوم أي وسيلة مساندة يتم اللجوء إليها في هذا المجال على أساس إصدار أحكام مسبقة، وأن توفر للأب/ الأم المعنيّ المساندة العاطفية التي تبث لديه الشعور بالأمل، وأن تكون بناءة تبعث على الإحساس بالراحة لدى ذوي الطالب.

يتوجب عليك كذلك أن تسمح لنفسك بالاسترخاء والتخفيف عن نفسك بين حين وآخر. ولقد أشرنا في عدة مواضع من هذا الكتاب إلى ضرورة توفير الفرصة لابنك للاسترخاء والتخفيف عن نفسه بين آونة وأخرى، وهذا ما يجب أن تفعله لنفسك

أيضاً. ولابدّ لك من أن تتذكر بأنه ليس هناك أب أو أم كاملاً الصفات، وأن تتوقع أيضاً بأنه لا يمكنك أن تكون كذلك. هذا لا يعني أن تتوقف عن محاولة تطوير نفسك كأب/ أم بل أن تتقبل بعض الأمور التي لا طاقة لك لتغييرها. وقد يستطيع بعض الآباء/ الأمهات التعامل مع مثل هذه الوضعية بيسر وسهولة أكبر مما تفعل أنت، غير أن تركيزك على قدرتهم على تحقيق ذلك لن يزيد من شعورك بالراحة. فقدرتهم على فعل ذلك ليست من شأنك إلا إن كانوا قادرين على مدّك ببعض الإرشادات اعتماداً على تجربتهم. غير أن عليك في هذه الحالة أن تدرك أيضاً بأن ما يصح تطبيقه على أبنائهم قد لا يفيد بالضرورة في حالة ابنك وهذه هي الحتمية التي يتوجب عليك تجنبها في حياتك. كما أن حرصك على الاسترخاء بين آونة وأخرى يعني استمتاعك بيوم خالٍ من المشاكل عن طريق يوم إجازة أو يوم تخرج فيه للترويح عن نفسك، أو ممارسة نشاط تستمتع به أنت وابنك على أن يكون هذا النشاط خالياً نسبياً من مسببات النزاع أو المتاعب.

سمات أخرى للإحساس بالعجز:

تحدثت حتى الآن عن إحساس الطلاب بالعجز وبينت أنه ينتج عن تجربة الطالب الشخصية مع الفشل أو تجربته لأمر كانت تتجاوز قدرته على التحكم بها. وأود هنا أن أتحدث عن بعض السمات الأخرى للشعور بالعجز.

بيّنت الأبحاث أن بعض الأطفال يكتسبون في الواقع الشعور بالعجز بالاحتكاك بمن سبق له أن عانى من الفشل تكراراً، أو بمشاهدتهم لحوادث حلّت بأشخاص آخرين بحيث كانت تلك الأحداث خارج نطاق تحكم أولئك الأشخاص. فقد يرى بعض الطلاب أن الأمور تسير على نحو سيء بالنسبة لطلاب آخرين، وما يلبث أن يتقمص هؤلاء الطلاب هذه الحالة في حياتهم هم أنفسهم. أي أنهم بعبارة أخرى ربما يشعرون بالعجز لمجرد رؤيتهم علامات سيئة تعطى لزملاء لهم نظراً لأن مزاج المدرس كان سيئاً، أو لأن هؤلاء الزملاء رسبوا لسبب يتعلق بسوء الحظ المجرد.

ينطبق هذا الأمر أيضاً على جو البيت، فقد يلاحظ الأبناء كيف يواجه ذووهم أية نكسات أو تحديات تمر بحياتهم ويكتسبون من تلك الملاحظة طريقتهم في مواجهة النكسات أو التحديات. فإذا واجه الأب/ الأم نكسة ما بأسلوب ينم عن أنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً في مواجهة الأمر أو أنه يقف عاجزاً في وجه أي تحدٍ فقد يتعلم الأبناء بأن يواجهوا أمورهم بطريقة مشابهة.

الناحية الحسنة هي أنه إذا كان الأبناء يستطيعون تعلم أساليب غير مجدية في مواجهة النكسات والتحديات فإنهم قادرون أيضاً على تعلم استجابات تتم عن القوة. فإذا واجه ذووهم نكسة أو تحدياً بالتركيز على الحل (وليس على المشكلة) بحيث يستكشفون الخيارات المتوفرة للتغلب على تلك النكسة، أو إذا ما أظهروا ثقة بالنفس في مواجهة أية ظروف معاكسة فإن الأبناء يتعلمون أن يواجهوا الأمور بطريقة مشابهة. بعبارة أخرى، إن أظهر ذوو الطفل بأنهم يركزون على الجوانب التي يستطيعون التحكم بها في حياتهم فقد يتوصل الابن إلى قناعة بأن هذا هو الأسلوب الذي يتوجب عليه اتباعه في مواجهة أمور الحياة. هل يعني ذلك بأن عليك إخفاء مخاوفك عن ابنك؟ لا بالتأكيد، بل إن من أقوى الدروس التي تعلّمها لابنك إنما يتم بأن يراك فزعاً في بعض الأحيان، غير أنك تواجه الوضعية بشجاعة وبالتركيز على مايمكنك التحكم به. فمن شأن ذلك أن يبين له بأن فزعك أو اعتبارك الأمور صعبة لا يعني بأنك فشلت بطريقة ما.

الحياة في عالم الواقع:

لا تحدث الأمور في عالم الواقع كما تتحدث عنها الكتب. وإليك بعض الأمور التي يجدر بك أن تفكر بها وأنت تهضم ما قرأته في هذا الفصل:

- لست أريد على الإطلاق مما أوردته في هذا الفصل أن أشير إلى أن إجراء تحول لدى الطلاب الذين يشعرون بالعجز هو أمر هين أو يسير. كم يلزمك من الجهد لإحداث هذا التغيير؟ لست أدري، ولكنني أعرف أن الأبحاث التي

تتناول مصالح الأعمال تشير إلى أنك تحتاج إلى خمسة أضعاف الجهد الذي تبذله في إقناع الزبون الذي يرضى عن منتجك لكي تقنع ذلك الذي كفّ عن الرضا عن منتجك.

● ولست أشك في أنك تحتاج كذلك على الأقل لخمسة أضعاف الوقت والطاقة والالتزام لإقناع طالب لا يلتزم بأداء واجباته المدرسية مقارنة بما يتوجب عليك أن تبذله لتحفيز الطالب «العادي». غير أن بإمكانني القول إن النتيجة المحتملة تستحق ذلك الجهد.

● لن تنجح المحاولة مع جميع الطلاب في حملهم على العودة للالتزام بأداء فروضهم المدرسية. قد يبعث هذا التصريح على الشعور باليأس ولكنه يمثل الحقيقة الساطعة. غير أنك، وإن كنت تتمنى تحقيق التزامه الكامل فقد تستطيع فقط تحقيق جزء مما ترغب به، فنجاحك بحمله على البقاء في المدرسة وفي الحفاظ على صحته العقلية هو نتيجة حسنة بالنسبة لطالب كان يمكنه أن يهجر المدرسة نهائياً أو يصاب بالاكئاب. تقبل النعم الصغيرة إن تمكنت من تحقيقها.

● قد يقلع بعض الطلاب عن الالتزام بالواجبات الخاصة بمادة واحدة أو مادتين فقط. وعلى الرغم من أنه لا يمكن وصف هؤلاء بأنهم عاجزون تماماً غير أنهم يتصرفون بطريقة تتم عن العجز في بعض المواد. هنا يمكن لمساندتك أن تكون موجهة باتجاه محدد. وتدل الأبحاث على أنه كلما كان الاتجاه محدداً باتجاه معين كلما ازدادت فرصة نجاحه. يضاف إلى ذلك أن لدى مثل هؤلاء الطلاب نقاط قوة ومهارات يمكن اللجوء إليها لدفعهم للتقدم في تلك المواد التي لم يكونوا يظهرون التزاماً بأداء متطلباتها.

● لا تتوقع لابنك إظهار قدرة على تجزئة مهماته على الفور كما سبق لي أن ذكرت، وهذا ينطبق على المهارات الأخرى أيضاً. فقد يتطلب الأمر بعض الوقت، ولو استطاع أن يظهر نصف المهارة المطلوبة فهذا أمر حسن ويبشر بالخير.

- قد لا تتفق مع كل ما تفعله المدرسة؛ غير أن من المهم أن نتعاوناً معاً بقدر الإمكان. فمصلحة طفلك تأتي في المقام الأول في تعاملك مع المدرسة والمدرسين.
- لا تبالغ في تخصيص أيام الاسترخاء، فالهدف منها هو مجرد كسر دائرة التوتر. هنالك قواعد مهمة تتعلق بنظام البيت وبتوقعاتك التي يتوجب عليك التمسك بها معظم الوقت. هذا لا يعني أن تحكم بيد من حديد، غير أن من المهم فرض حدود واضحة ومستمرة.
- لا يعني التجديد قيامك بمغامرات غير ضرورية أو مبالغ بها. عليك ان تتأكد من أن أي تجديد إنما يخدم صالحك وصالح ابنك، وبحيث لا يؤسس لأي استراتيجيات قصيرة الأجل من شأنها أن تسيء لابنك أو تؤدي لعدم التزامه على المدى المتوسط أو الطويل.

ايجاز للفصل

على الرغم من أن عدم الالتزام بأداء الأعمال المدرسية أو الشعور بالعجز يؤثران على نسبة قليلة من الطلاب فإن هنالك أموراً قليلة قد تكون مدعاة لخبية أمل أكبر لدى ذوي الطلاب (بل وقد تدمر أرواحهم) من عدم التزام أبنائهم بالأعمال المدرسية. فقد أظهرت الأبحاث أن السبب الرئيسي الذي يدفع الطلاب إلى عدم الالتزام بالمدرسة وبواجباتهم المدرسية هو افتقارهم الكلي للشعور بالقدرة على التحكم بأمورهم. والسبيل لدعم إحساس الطالب بقدرته على التحكم بشؤونه إنما يتم عن طريق معالجة ما يطلق عليه أسلوبه في تفسير الأمور. ومن الاستراتيجيات التي تحتل مكان الأهمية في معالجة قضية عدم التزام الطالب إقامة صلة وثيقة فعالة مع مدرسته، وكسر حلقة الفشل وإظهار القدرة على الإبداع والتجديد في المنحى الذي ينتهجه ذوي الطلاب. و يترافق مع هذه الاستراتيجيات الحرص على الحفاظ على صحة ابنك العقلية، وكذلك الإبقاء على علاقات حسنة (أو معقولة) معه، إلى جانب حرصك على اقتناص أوقات للاسترخاء أثناء هذه الأوقات الصعبة.

النقاط الخمس الرئيسية في الفصل الثاني عشر

١- ينشأ جانب كبير من الشعور بالعجز عن تدني الإحساس بالقدرة على التحكم بالأمور. ويتم تعزيز هذه القدرة عندما يقرن الطالب بين أفعاله وبين نتائج هذه الأفعال. ويستدعي ذلك التوصل إلى التفسيرات للنتائج تستند على عوامل محددة قابلة للتحكم والتغيير.

٢- من المهم العودة إلى الأصول الأساسية. ويشمل ذلك الاهتمام بعلاقتك بابنك والبدء بخطوات صغيرة، والاعتراف بالنجاحات الصغيرة، وتقليل التركيز على الدرجات، وتعزيز التركيز على الجهد المبذول والاستراتيجية، مع المزيد من تجزئة المهمات.

٣- من المهم إقامة علاقة فعالة مع المدرسة. احرص على التحدث إلى مدرسي ابنك أو الموجه، على أن تركز على الحلول وليس على المشكلات.

٤- قد يؤدي تدني الأداء المتكرر في بعض الأحيان إلى الانحدار نحو الشعور بالعجز، خاصة إذا شعر الطالب بأن هذا الفشل ناجم عن ضعف أو انعدام قدرته على التحكم بشؤونه. من المهم كسر هذه الحلقة ولو مؤقتاً.

وقد يتحقق ذلك عن طريق زيادة فرص النجاح بواسطة تجزئة المهمات، ونصب الدعائم (السقالات) وتوسيع منظورك ومنظور ابنك لمفهوم النجاح. وقد يشمل ذلك توفير توجيهات واضحة حول تطوير بعض المهارات مثل مهارات تجزئة المهمات وعن طريق تشجيع ابنك على مراقبة هذه المهارة أثناء تطبيقك لها، وتقليد طريقة تنفيذها، ومن ثم ممارستها ونقلها لتطبيقها في وضعيات أخرى. كما قد تشمل محاولة الاسترخاء في أيام خالية من التوتر إبان الفترات الصعبة.

٥- لا تقلل من أهمية الصحة العقلية لك ولابنك على حد سواء. قد تحتاج لمساندة من مختصين أو مساعدة غير رسمية يقدمها لك أفراد من عائلتك أو بعض أصدقائك.

الفصل الثالث عشر

خلق الحوافز لدى الفتيان

ربما تكون قد استهجنْتَ هذا العنوان عندما قلبت هذه الصفحة لأنه يتحدث عن الفتيان الذكور وحدهم وتساءلت بينك وبين نفسك، هل نحن أمام من يدّعي الخبرة بشؤون الفتيان من جديد؟ السبب الذي دفعني لإضافة هذا الفصل هو أنني أجريت أبحاثاً مستفيضة بعض الشيء في السنوات الأخيرة حول تعليم الفتيان. ولقد عملت على جمع المعلومات حول عملية خلق الحوافز من آلاف طلاب المدارس، وأجريت مقابلات مع العديد من المدرسين ومدراء المدارس، واستشرت الكثيرين من الأكاديميين المرموقين. كما أجريت مراجعة مستفيضة للأبحاث التي جرت في السابق حول تعليم الفتيان. ونتيجة لذلك تعلمت أشياء قليلة حول خلق الحوافز لدى الفتيان أود أن تشاركني بها من خلال هذا الفصل. وهذه فرصة أيضاً لتقصّي مدى تأثير الدوافع والكوابح والمثبطات على الفتيان بالذات.

أود قبل المضي في الحديث أن أؤكد بأنني، وإن كنت سأركز على الفتيان كفئة متميزة عن الفتيات، فإنني أعتقد بأن الفتيان أنفسهم يختلفون عن بعضهم البعض اختلافاً بيناً واضحاً. فالبعض منهم يفضلون النشاطات العملية التي يقومون بها هم أنفسهم، والبعض الآخر لا يستسيغون هذه النشاطات. البعض يحبون النشاطات البدنية مثل أنواع الرياضة المختلفة، والبعض الآخر لا يحبونها. هنالك



من يميلون إلى الضجيج والصخب وسرعة الانفعال، والبعض الآخر يميلون للهدوء. يحتاج البعض منهم للبالغين من الذكور يقتدون بهم في حياتهم بينما لا يحتاج البعض الآخر لهذه النماذج - القدوة. البعض منهم يمتنون القراءة والكتابة والبعض الآخر لا يفعلون. ومنهم من يحب التعامل مع الأدوات والآلات ومنهم من لا يميلون لذلك.

علاوة على كل ذلك فإنني أميل إلى الاعتقاد بأن نقاط التشابه والتماثل بين الفتيان والفتيات أكثر مما بينهما من الاختلافات، بل إنني قد أصل إلى القول بأن الاختلاف بين فتى وآخر قد يتجاوز في بعض الأحيان الاختلافات بين الفتيان والفتيات. ولذا فإنني، وإن كنت سأورد بعض التعميمات في هذا الفصل حول الفتيان، فإن مهمتك أنت أن تتولى إعادة تفصيل ما أقول حسب مقاس ابنك بالذات، وما لديه من نواحي القوة والضعف، وما يحب وما يكره.

قد تتساءل: إن كان الفتيان والفتيات يتشابهان لهذه الدرجة فما جدوى تخصيص فصل كامل للحديث عن خلق الحوافز لدى الفتيان؟ وجوابي هو أن من المهم معرفة هذه الفروق وما عليك أن تفعله إزاءها. وعلى الرغم من وجود تشابه بين الطرفين فهذا لا يعني عدم وجود فوارق بين الفتيان والفتيات حين يتعلق الأمر بالمدرسة.

الاختلاف في ميدان خلق الحوافز بين الفتيان والفتيات

تبين لي أن هنالك اختلافات إحصائية لا يستهان بها بين الفتيان والفتيات فيما يتعلق بالدوافع التالية:

- إدارة العملية الدراسية - الفتيات ينجحن في إدارة عملية دراستهن أكثر من الفتيان.
- التركيز على التعلم - تركز الفتيات أكثر من الفتيان على تطوير مهاراتهم، وفهم أمور جديدة. وتقديم أفضل ما لديهن وعلى حل المشكلات التي تواجههن.
- المثابرة - تظهر الفتيات قدرة أكبر على المثابرة مقارنة بما يظهره أقرانهن من الفتيان عندما يتعلق الأمر بإنجاز أعمال مدرسية صعبة وتمثل تحدياً للطلاب.

- التخطيط - تميل الفتيات للتخطيط لعملهن المدرسي أكثر من الفتيان، وهن يتابعن مدى تقدمهن أثناء إنجازهن لأعمالهن.
- قيمة المدرسة- تميل الفتيات أكثر مما يميل الفتيان إلى الإيمان بقيمة المدرسة. هنالك أيضاً اختلافات بين الفتيان والفتيات حول المثبطات التالية:
- التخريب على النفس - يميل الفتيان أكثر من الفتيات لوضع العقبات في وجه طريقهم إلى النجاح (أي عن طريق التسويف «التأجيل» وتبذير الوقت والتهرج).

هل يعكس ابنك أياً من هذه السمات؟ إن كان كذلك فعليك أن تعيد قراءة الفصول التي تعالج بالتفصيل موضوع الدوافع والكوابح والمثبطات. غير أن عليك، وأنت تقيس هذه النتائج على مقياس ابنك أن تتذكر بأنها لا تنطبق على كل الفتيان. فهي مبنية على أساس معدل وسطي يشمل مقارنة آلاف الفتيان - وقد يكون ابنك في وضع يختلف عن هذا المعدل الوسطي.

ماذا بشأن الفتيات؟

لا يجوز للآباء والأمهات تجاهل وضع الفتيات وهم يقرؤون هذا الفصل عن وضع الفتيان. وقد تبين لك على ضوء النتائج الواردة أعلاه أن المعدلات التي حصلت عليها الفتيات أعلى بكثير من تلك التي حصل عليها الفتيان فيما يتعلق بإدارة العملية الدراسية، والتخطيط، والتركيز على عملية التعلم، والمثابرة وفيما يتعلق بتقدير قيمة المدرسة، وهذه هي نقاط القوة لدى الفتيات وهي نقاط لا بد من تعزيزها. والاستراتيجيات نفسها التي ينتهجها الآباء والأمهات لزيادة هذه الدوافع لدى الفتيان هي ذات الاستراتيجيات التي يحتاج الآباء والأمهات لانتهاجها لتعزيز قدرات أبنائهم. وأود أن أنفي هنا أيضاً أن جميع الفتيات يظهرن قدرات أكبر من أقرانهن الفتيان فيما يتعلق بهذه الدوافع. فإن كانت ابنتك لا تتمتع بمثل تلك الدوافع فإن الحاجة تدعو للمزيد من الجهد لدعم هذه الدوافع في حياة ابنتك أيضاً.

يضاف إلى ذلك أن الفتيات يظهرن قدراً أكبر من القلق مما يظهره الفتيان، ولذلك فإن الكثيرات منهن يستفدن من أساليب مكافحة هذا النمط من المثبطات.

علينا ألا ننسى كذلك أن مسار الفتيات في مرحلة ما بعد الدراسة لا يتوازي مع المسار الذي يسلكه الفتيان. فالرجال يحصلون على وظائف أعلى وذات رواتب أكبر في المراحل التالية من حياتهم، بل ويحصلون على رواتب أعلى مما تحصل عليه النساء على الرغم من احتلال أفراد من الجنسين الوظائف نفسها. كما يحقق الذكور ترفيعات أكثر مما تحقّقه الإناث. ولذا فإنك ببذلك مجهوداً لتعزيز الإيمان بالذات وروح المثابرة، والشعور بالقدرة على التحكم بالأمر لدى ابنتك إنما تساعدنا على استنباط قوة أكبر على مواجهة ما سيقابلها في مستقبل حياتها.

ماذا يحتاج الأولاد الذكور؟

هناك في الواقع مئات الخبراء ممن يقولون للآباء ماذا يحتاجه أبنائهم الذكور. وتحليلي الشخصي هو أن للفتيان حاجاتهم الخاصة، وإن كان قد تبين لي أن العديد من هذه الحاجات تنطبق على الطلاب عامة وليس على الفتيان منهم خاصة.

أظهرت لي أبحاثي مع الطلاب ما يؤكد لي أن معظم الفتيان يعبرون عن تفضيلهم الشديد لتعلم الأمور العملية التي يفعلونها بأنفسهم في المدرسة ولكن الكثير من الفتيات قلن لي إنهن يفضلن ذلك أيضاً. كما وجدت بأن الكثير من الفتيان يحبون الخروج لممارسة نشاطات بدنية، وإن كانت الكثير من الفتيات قد أعربن عن استمتاعهن بمثل هذه النشاطات أيضاً. أعداد كبيرة من الفتيان أبلغوني أن المدرسة لا تمت لحياتهم بصلة، وهذا ما أبلغتني به فتيات عديدات. وقد قال الفتيان إنهم يفضلون أكثر ما يفضلون العمل كمجموعات في الفصل وهذا ما قالته العديد من الفتيات.

ما الفرق إذن بين الفتيان والفتيات؟ لقد تبين لي أن الفرق هو في مدى ما يحبه الفتيان من نشاطات بدنية وأعمال يؤدونها بأنفسهم، والعمل كمجموعات، والقيام بنشاطات خارج الفصل، إذ إنهم فيما يبدو يحبونها أكثر مما تفعل الفتيات. وعندما

نفهم ذلك ندرك أن اهتمامات الفتيان والفتيات ليست اهتمامات تنافسية. فإن جرت نشاطات يفعلها الطلاب بأنفسهم في الفصل فإن هذا هو من حسن طالع الفتيان والفتيات على حد سواء، وإن كانت بعض الفتيات لا يستسفن هذه النشاطات مثلما تفعل أخريات. غير أن علينا أن نتذكر بأن الهدف من التعليم هو توسيع وتطوير مهارات متعددة لدى الطلاب، والقليل من العمل الذي يفعله الطلاب بأيديهم هو أمر بالغ الأهمية أيضاً بالنسبة للطالبات - تماماً كما لا يمكن تجنب تطوير الفتيان لقدرتهم على الجلوس على مقاعد الدراسة في الفصل من أجل تحصيل ما يلزمهم من معلومات نظرية.

هنالك أمور عديدة تستحق المناقشة فيما يتعلق بتعلم الفتيان، وسأركز على تلك المتعلقة بتحفيز الفتيان. لن أبحث في أمور مثل مفهوم الذكورة أو إتقان القراءة والكتابة، أو التمرّ على الزملاء في المدرسة، أو ضرورة توفر قدوة من الذكور البالغين يقتدي بهم الفتيان. فعلى الرغم من إدراكي بأن هذه الأمور لها علاقة بخلق الحوافز فإنني أشعر بأنها ربما نوقشت بما يفيض عن الحاجة في مراجع أخرى، وأن هنالك قضايا أساسية أكثر يجدر بي أن أناقشها في هذا الكتاب الذي يتناول قضية خلق الحوافز بشكل أساسي. غير أنني سأعرج على مسألة التعليم المختلط والفصل بين الجنسين في المدارس في هذا الفصل فيما بعد.

تبين لي من مراجعتي للأبحاث السابقة، وكذلك من أبحاثي الخاصة أن هنالك ثمانية عوامل رئيسية تكمن في أسس خلق الحوافز لدى الفتيان وهي:

- العلاقات الحسنة.
- الاحترام.
- توفر روح المرح والدعابة.
- علاقة التعليم بأمور الحياة وفائدته لها.

- التأكد من الإلتقان.
 - تجربة النجاح ومنح المكافآت.
 - القدرة على التحكم بالنفس وإبداء روح المسؤولية.
 - تدني معدل الخوف من الفشل.
- لست أشك في قدرتك على تحديد عوامل أخرى كثيرة، غير أنني أعتقد بأن العوامل الثمانية التي ذكرتها أعلاه تحتل رأس القائمة.

العلاقات الحسنة:

ناقشنا في الفصل الحادي عشر أهمية إقامة علاقة حسنة بين الطفل وذويه وكيفية تحقيق ذلك. وذكرنا حينذاك أن تطوير العلاقات الحسنة إنما يتم عن طريق:

- الاحترام المتبادل.
 - وضع نفسك في موضع طفلك.
 - السعي لإقامة علاقة متوازنة كلما أمكن ذلك.
 - جذب ابنك أكثر من محاولة دفعه.
 - الالتزام بالتعلم طوال حياتك طمعاً في استباط أفضل ما لدى ابنك من إمكانيات.
- هذه هي الأمور الأساسية بالنسبة لبناء علاقة حسنة مع ابنك. كما أنني أنصحك بإعادة إمعان النظر فيما ورد في الفصل الحادي عشر والذي شرح هذه الأمور بالتفصيل.

لقد اهتممت في أبحاثي بشكل خاص بالميزات التي يتمتع بها البالغون ممن يستنبطون أهم ما لدى الفتیان من قدرات. وعندما أسأل المدرسين الناجحين عن أسلوبهم في بناء علاقة حسنة مع الفتیان فإنهم يذكرون العوامل التالية:

- بناء الإحساس بالثقة المتبادلة معهم.
 - العمل على التعرف على طبيعتهم ودواخلهم.
 - محادثتهم حول الأمور التي تثير اهتمامهم.
 - انتهاز الفرص المناسبة للعمل مع كل فرد منهم على حدة.
 - الاستماع إليهم حول نظرتهم للأمور.
 - تقصي النواحي المشتركة التي تربطنا بهم.
 - تبادل المزاح معهم.
 - إظهار التقدير لهم كلما كان ذلك ممكناً.
 - تحميلهم المسؤوليات.
- لا شك بأن المدرسين والآباء/ الأمهات الذين يبنون هذه المكونات في علاقتهم مع الفتیان إنما يحققون علاقات أفضل معهم.

الاحترام

يعني الاحترام الكثير بالنسبة للفتیان، علماً بأن الاحترام أمر لا بدّ من اكتسابه والسعي للظفر به كما شرحت في الفصل الحادي عشر. ولاريب بأن المدرسين والآباء/ الأمهات الذين يحرزون احترام الطفل هم الأقدر على خلق الحوافز لديه. ولقد تبين لي نتيجة لأحاديثي مع الفتیان أن أنماط السلوك التالية هي التي تظهر أنك تحترمهم:

- الاستماع إلى مايقولون وقضاء الوقت اللازم معهم لفهمهم.
- تقديرهم لماهم عليه من صفات مع عدم التمني لو أنهم كانوا على غير ما هم عليه في الواقع (وهذا يختلف عن الرغبة في تغيير بعض أنماط السلوك لديهم).

- صرف الوقت اللازم لشرح أعمالهم المدرسية لهم - حتى لو اقتضى الأمر تقديم الموضوع لهم عدة مرات.
- إظهار الاهتمام بحياتهم.
- تقبل وتقدير الأمور التي يهتمون بها.
- عدم إظهار أنماط محاباة (حتى ولو كنت تشعر داخلياً بأن بناتك أسهل قياداً وأكثر تفاعلاً فيما يتعلق بخلق الحوافز لديهن).
- إعطاؤهم حق إبداء وجهات نظرهم في الأمور التي تؤثر عليهم.
- شرح القواعد المطلوب التقيد بها بوضوح وسبب فرضك لها، مع إفساح المجال للتفاوض معهم حول هذه القواعد أو تعديلها في الأوقات المناسبة لذلك.
- عدم معاملة الفتيان اليافعين وكأنهم مازالوا أطفالاً، مع إفساح المجال والحرية لهم لاستكشاف دواخلهم بأنفسهم.

لا شك بأن الفتيان ينصتون لما يقوله البالغون الذين يحترمونهم ويحرزون بالتالي احترام هؤلاء الفتيان، وبذلك يصبحون قادرين على التأثير عليهم. أما أولئك الذين لا يبدو احتراماً للفتيان ولا يتمكنون بالتالي من اكتساب احترامهم فإنهم لن ينصتوا لما يقولونه لهم. وبذا فإن هؤلاء البالغين يضعون سداً بينهم وبين أولئك الفتيان. عليك ألا تسمح لنفسك بوضع مثل هذا السد الذي يخرجك من دائرة التأثير على ابنك.

تذكر كذلك ما ناقشناه من قبل حول محاولة التوجه إلى الطالب باتباع خط غير مباشر. تجنب الوضعيات التي من شأنها وضعه في موضع يفقده ماء وجهه، خاصة أمام أصدقائه. ولقد رأيت العديد من المدرسين أو الآباء ممن يقعون في هذا المصير. ربما يكون قد تبين لك بأنك لا تستطيع إجبار ابنك على فعل شيء لا يريد هو أن يفعله. فإن اختار التصلب وعدم الإذعان فإنه سيضعك أنت في زاوية ضيقة. أما

عندما تحاول اتباع مسار غير مباشر فإن هذا يعني أنك ستتجنب أي مجابهة معه أمام الآخرين، وستحاول معالجة الموضوع فيما بينكما، وببطء، وبطريقة غير مباشرة وبأسلوب يراعي حساسيته. وقّر له الفرصة لكي يحسّ بأنك تحاول تفهّم وجهة نظره. اطرح خيارات عديدة أمامه واترك له الفرصة بحيث يوجهه هو جانباً من المفاوضات بينك وبينه. فإن أبدت حرصك على الحفاظ على كرامته فلن تثير لديه نزعة القتال أو التهرب والتي كثيراً ما نراها لدى الفتيان.

إبداء روح الدعابة والمرح:

يذهلني المدى الذي يمكن لبعض المدرسين أو الآباء أن يحرزوه في طريق تجاوب الطلاب معهم لدى إبدائهم روح الدعابة. فمن شأن ذلك أن يفسح مجالاً كبيراً على طريق التعلم وخلق الحوافز. وكثيراً ما يقول لي الفتيان إنهم يحبون المدرسين الذين يتبادلون النكات معهم. وكما قال أحد الفتيان: «بيادلونك النكات ويبدون التجاوب معك. فإن تجاوبت معهم فإنهم يبادرونك بالمثل، وهذا أمر جيد». غير أنه لا بدّ لي من القول إن هذا يجب ألا يتردّي إلى مستوى الإسفاف في القول أو الانزلاق في المستوى.

تبين لي أن المدرسين الذين يبدون قدرة خاصة على التعامل حتى مع أكثر الفتيان صعوبة هم أولئك الذين يتمتعون بالقدرة على إبقاء الأمزجة راقية، بل وإنهم يدفعون الطلاب إلى التعلم. وحين تستدعي الحاجة للتعامل مع فتي أساء التصرف فإنهم بإبقائهم على المزاج راقياً، إنما ينجحون في انتهاج أساليب ليس فيها الكثير من التهديد لكرامة ذلك الفتى. وقد قال لي أحد المدرسين: «أمازحهم، فمن شأن المزاح أن يخفف من غلواء حتى أولئك الذين قد يظهرون قدراً كبيراً من العدوانية».

لا شك بأن المرح ينجح في خلق الشعور بالمساواة بين الناس وفي التقريب فيما بينهم وإثارة اهتمامهم. وهو أيضاً عامل شديد التأثير في التخفيف من الاحتقان وفي إطلاق الكثير من الطاقات. فالمرح سبيل لتبادل شعور إنساني ولخلق الكثير من الحوافز لدى الفتيان نتيجة للعلاقات الإنسانية التي تقوم بينهم وبين البالغين.

من المهم للفتيان أيضاً أن يتقبل البالغون أخطاءهم. وهم يعبرون عن امتنانهم عندما يضحك البالغون من أخطائهم، أي أخطاء البالغين أنفسهم. وليس هناك ما يثير الأحاسيس الإنسانية لدى فتى ما مثل رؤيته مدرساً يسرح بناظره ويضرب على جبينه ضاحكاً من نفسه عندما يرتكب خطأ في الحساب وهو يكتب على اللوح أمام الطلاب. فالسخرية من مثل هذا الخطأ من جانب البالغ من شأنه أن يحقق أمرين: فهو يخفف مخاوف الفتى من الرسوب أو ارتكاب الأخطاء، كما أنه يظهر الجانب الإنساني لدى البالغ.. وهذا عامل أساسي في خلق علاقة حسنة.

استفسر من الفتيان عن الأشخاص الذين يتبادلون المزاح معهم وفيما إن كان هؤلاء يستطيعون الحفاظ على سلطتهم وقدرتهم على التحكم بالأمور. والمعطيات التي لدي تشير إلى أن انتهاج أسلوب يتسم بالمرح وتبادل النكات إنما يعزز قدرة مثل هؤلاء البالغين على التحكم بالأمور. ويبدو لي أن الفتيان يستطيعون تقبل نصف ساعة من المعلومات النظرية إذا ما رافقها قدر قليل من الدعابة وتبادل المزاح.

فائدة المدرسة وصلتها بحياة الفتيان

عدد لا يحصى من الفتيان الذين التقيت بهم يشكون مرّ الشكوى من أن ما يطلب منهم من أعمال مدرسية لا يتصل على الإطلاق بحياتهم، وهي ليست مفيدة أو ذات معنى بالنسبة لهم. فالعمل المدرسي الذي يخلق الحوافز لدى الطلاب هو ذلك الذي يعتقدون بأن له هدفاً، وهو مفيد لهم الآن، أو في مستقبل حياتهم ومرتبطة بحياتهم وبموادهم المدرسية الأخرى.

ناقشت في الفصل الخامس الذي تناولت فيه موضوع قيمة المدرسة أساليب تعزيز إيمان الأطفال بقيمة المدرسة. وشمل ذلك الربط بين المواد المدرسية وبين الأمور التي يهتمون بها، أو بأي نوع من العمل الجزئي يقومون به، وبما يريدون عمله في المستقبل. وشمل ذلك تطوير مهارات التفكير والمهارات الاجتماعية التي تكتسب أهمية خاصة في مستقبل حياتهم.

هنالك بعض الطرق الأخرى التي يمكن انتهاجها لتعزيز الصلة والفائدة التي يجنيها الطلاب من أعمالهم المدرسية، وعلى المدرسين وذوي الطلاب أن يبحثوا عن الفرص التي تمكنهم من:

- السماح للفتيان بتطبيق ما تعلّموه.
- تكليف الفتیان بمهام عملية ينجزونها بأنفسهم.
- السماح لهم بالعمل مع غيرهم من الطلاب عندما وأينما يكون هذا مناسباً.
- توفير الفرص للطلاب للتعلم في خارج المدرسة ضمن سياق دراستهم.
- إتاحة المجال أمام الفتیان للتعلم في أماكن العمل أو اكتساب خبرة في العمل.
- توفير بعض التعليم المهني والتدريب للفتیان.
- إدخال التقنيات في دروس الفتیان كلما كان ذلك مناسباً.

مثل هذه النشاطات من شأنها أن تجتذب الفتیان، حيث تخلق لديهم الحوافز عندما تستخدم بأساليب المناسبة. وعندما تتاح الفرصة للفتیان لإنجاز مثل هذه الأمور فإنهم يتسامحون إزاء بعض الأعمال الصعبة التي يتوجب عليهم أداؤها فيما بين ذلك. وكثيراً ما يقول لي المدرسون بأنهم يخلطون بعض الأعمال المملّة مع أساليب تعلّم مبتكرة وأكثر إثارة لاهتمام الطلاب. ابحث عن وسائل تخلط من خلالها أساليب متعددة لتعليم ابنك. فإن أضفت بعض السكر فإن ابنك سيتسامح في الغالب إن طلبت منه أداء أعمال أكثر صعوبة.

التأكد من إتقان الفتیان لأعمالهم المدرسية

كثيراً ما يفقد الفتیان اهتمامهم بأعمالهم المدرسية إن قصروا في أدائهم، أو عجزوا عن فهمها أو لم يتقنوها. ويقول لي الطلاب إن المدرسين الذين ينجحون في الحفاظ على اهتمام الطلاب بأعمالهم المدرسية إنما يصرفون وقتاً في شرح هذه

الأعمال لهم. ويسعد هؤلاء المدرسين أن يشرحوا الأمور أكثر من مرتين إن استدعت الضرورة وبأساليب مختلفة للتأكد من فهم الفتيان لما هو مطلوب منهم. وهم يتباطؤون في شرح الدرس كلما استطاعوا ذلك للتأكد من استمرار اهتمام الفتيان. كما أنهم يواجهون أسئلة أثناء الدرس للتأكد من انتباه الجميع. كما ويحاولون التأكد من أن الفتيان يظهرون فهمهم لما يتعلمونه. بعبارة أخرى يبذل هؤلاء المدرسون قصارى جهودهم للتأكد من أن هؤلاء الطلاب يتقنون العمل المطلوب منهم أداؤه. فهم يساعدون الطلاب على تجاوز أية عقبات وهم يشرحون لهم المطلوب من أعمالهم المدرسية قبل أداء الطالب لها. وكما قال أحد الطلاب «إنهم يدخلونك في العمل ويساعدونك ويشرحون لك ما هو مطلوب قبل أدائك له. إنهم يظهرون اهتماماً أكبر بأمورك».

يمكنك كأب أن تفعل هذا أيضاً، بل إنك في وضع أفضل لتحقيق ذلك إذ تتوفر لك فرص أكبر للانفراد بابنك. فقد تفكر في توفير دروس خصوصية لابنك إن بدا لك بأنه لا يفهم فروضه المدرسية، أو في الاستفسار من مدرّسه عن الأساليب التي يمكنك أن تساعد به بصورة أكثر فعالية.

وهذا يقودني إلى النقطة التالية في نطاق بناء النجاح في حياة ابنك.

تجربة النجاح ومنح المكافآت

أظهرت لي أبحاثي مع المدرسين الذين ينجحون في جذب اهتمام الطلاب أن هؤلاء المدرسين يتقنون توفير فرص نجاح أكبر أمام الفتيان. كما أظهرت الأبحاث أن هنالك بعض الخطوات التي يمكن لذوي الطلاب ومدرسيهم انتهاجها لمساعدة الطلاب على النجاح. حاول تطبيق الخطوات التالية لدى محاولتك مساعدة ابنك في أعماله المدرسية:

١- ابدأ بمراجعة سريعة لما يعرفه ابنك.

٢- اشرح ما الذي تستهدف القيام به.

- ٣- استعرض الأعمال المدرسية على أساس خطوات صغيرة.
 - ٤- اطلب من ابنك تطبيق ما تعلّمه في كل خطوة.
 - ٥- احرص على توضيح وتفصيل تفسيرك.
 - ٦- وجه أسئلة لابنك للتأكد من فهمه لما تشرحه.
 - ٧- وجه ابنك أثناء عمله أولاً.
 - ٨ - قدم لابنك معلومات ارتجاعية مركّزاً على ما نجح في إنجازه وعلى أساليب تحسين هذا الإنجاز.
 - ٩- احرص على تقصي مدى تقدمه لبعض الوقت.
 - ١٠- امنح ابنك الوقت الكافي لإنجاز عمله.
 - ١١- ابحث عن المشكلات وحدّد المطبات قبل أن يفعل ابنك وتقصّ أساليب التغلب عليها.
- لا تنسَ الأساليب الأخرى لبناء المزيد من النجاح في حياة ابنك وهي: تجزئة المهمات، وتوسيع تعريفك للنجاح بحيث يشمل تقديم ابنك أفضل ما عنده والتحديد الفعال لأهدافك.
- يظهر الفتيان امتنانهم إذا ماتم الاعتراف بنجاحهم واتقانهم لعملهم عن طريق توجيه المديح لهم ومنحهم المكافآت. وإن قررت أن تمنح مكافآت فعليك أن تتأكد من ربطها مباشرة بعملية التعلم وذلك بحيث تعبّر المكافأة عن الاعتراف بالمهارات الدراسية وببذل المجهود وتقديم الطالب أفضل ما عنده. ويجب أن يكون هدفك هو تقديم المكافآت المالية على مراحل تبعاً لما يحققه ابنك من نجاحات وبحيث يصبح النجاح هو الحافز في الأساس لتقديمه أفضل ما عنده.

لست أنصح بتقديم مكافآت كبيرة أو بربطها بما يحصل عليه من علامات. وأذكر إحدى الأمهات التي فعلت ذلك. فبدافع يأسها وعدت ابنها بأن تقدم له سيارة سباق جديدة إن حصل على معدل (٨٥)٪ في امتحاناته النهائية. كانت في ذلك مشكلتان أولاهما أنها وعدته بمكافأة هائلة تصبح معها أية مكافأة أخرى عديمة القيمة. فالمديح لم يعد يجدي، وكذلك منحه أوقاتاً للراحة بعد كل جلسة دراسة أو السماح له بالخروج. فسيارة السباق أغرقت كل الأمور الأخرى التي من شأنها تحفيز مثل هذا الطالب على أساس يومي. والمشكلة الثانية أن الأم ربطت هذه المكافأة بعلامة معينة. فما هو السيء في ذلك؟ لقد وضعت في موضع من شأنه أن يواجه فيه إما النصر أو الهزيمة. وبحلول منتصف العام الدراسي كان الابن قد قرر بأنه غير قادر على تحقيق معدل (٨٥) ٪، وعلى ذلك فقد استسلم نهائياً وكفّ عن المحاولة.

ماذا كان يجدر بالأُم أن تفعل؟ كان عليها أولاً أن تستخدم مكافآت يمكن أن تؤدي مفعولها على أساس يومي. كما كان عليها ثانياً أن تربطها بأمور قابلة للتحقيق أو يمكن السعي لتحقيقها في أي وقت مثل تحسين وضع الابن، أو تطوير مهارات أفضل في الدراسة، أو بذل مجهود أكبر وتقديم الابن أفضل ما عنده.

لأبد من القول إن النجاح والمكافآت هما أمران فعالان جداً. والتأسيس للمزيد من النجاح في حياة ابنك واستخدام المكافآت بطريقة تتسم بالعناية والفعالية من شأنه أن يعزز ما لديه من الحوافز.

عليك، إن عملت على توفير فرص أكبر لابنك للنجاح ألا تخشى تكليفه بأعمال مدرسية أو تحديد أهداف أو مهمات تمثل تحدياً أكبر. وقد بينت الأبحاث التي تدور حول أكثر أساليب التدريس فعالية بأن عملية التعلم تتعزز عندما يكلف الطلاب بأعمال تمثل تحدياً أكبر لهم. فالفتيان لا يبالون بالتحديات. ولقد قال لي أحد الفتيان: «إن عدم وجود تحدٍ يعني أنك لن تتعلم شيئاً ذا بال». غير أن عليك أن

تحرص لدى تقديم المزيد من التحديات لابنك ألا يتم ذلك بطريقة تثير شعوره بالخوف من الفشل وبأن يتم التركيز على الجهد المبذول لإنجاز العمل وليس على تحقيق الكمال الكلي فيه.

المزيد عن المكافآت

عليّ أن أتحدث المزيد حول المكافآت، فهي أكثر ما يوفره معظم ذوي الطلاب ومدرسيهم، وإن كانت تقابل بالنقد من قبل الباحثين في شؤون التعليم. فما السبب في ذلك؟ خمسة أسباب، أولها ان الأبحاث تشير إلى أن «الدفع» للأبناء لكي يفعلوا ما يتوجب عليهم أن يفعلوه مجاناً من شأنه أن يحوّل ما هو مصدر للمتعة إلى مصدر للعناء والملل. إذ يجادل بعض الباحثين بأن «الدفع» هو أكثر ما يحوّل ما هو أداة للعب إلى عمل شاق. وثاني هذه الأسباب هو أن الطلاب يكفون عن أداء المطلوب منهم إن توقف «الدفع» أو إن كان الدفع غير كافٍ. السبب الثالث هو أن المكافأة تحوّل التركيز عن المهمة المطلوبة وعن الجوانب الأخرى الباعثة على الرضا والتي تتعلق بالتعلم إلى المكافأة نفسها. رابع هذه الأسباب هو أن المكافأة قد تثير لدى الطلاب الإحساس بأن الآخرين يتحكمون بهم أو أنهم لا يستطيعون أن يقرروا حياتهم بأنفسهم أو التحكم بها. أما السبب الأخير فهو أن المكافأة قد تخفض من قيمة المهمة المطلوب القيام بها، إذ يشعر الطلاب بأنه مادام يتم الدفع لهم لكي يؤدوا هذه المهمة فهي بالتالي لا تستحق عناء قيامهم بها.

لاشك بأن الباحثين يرسمون صورة قاتمة عن هذا الأمر، ومن الإنصاف أن نقول إن في رأيهم جانباً كبيراً من الحقيقة. غير أنه لا يمكن للمكافآت أن تكون بهذا السوء الذي يصورونه، وهي في رأيي ليست كذلك، كما أن الكثيرين من المدرسين والآباء يقسمون بأن لها فوائد. وعلى هذا فعلياً أن نتحرى الموضوع بدقة. فالمكافآت قد تثبت فعاليتها بالنسبة للأطفال الصغار، إذ قد تفيد في دفع أولئك غير الملتزمين بالذات إلى البدء بمشوار التعليم، حيث يمكنها أن تثير اهتمام

هؤلاء الأطفال بالأعمال المدرسية إلى أن يصبح العمل المدرسي في حد ذاته مثيراً للاهتمام أو مصدراً للمتعة. كما يمكن للمكافآت أن تبقي على التزام الطلاب بأعمال مدرسية لا يستسيغونها في الواقع، ولذا فإن للمكافآت مكانها أيضاً. أما النطاق الذي أنصح فيه بالتخفيف من المكافآت فهو حين يكون العمل نفسه مثيراً لاهتمام الطالب بحيث تكون لديه الحوافز لإنجاز العمل وهو يستمتع به، فالتشجيع في هذه الحالة أكثر فعالية من المكافأة.

القدرة على التحكم وروح المسؤولية

يقيم الطلاب عالياً إتاحة الفرصة لهم لاختيار المواد التي يودون دراستها والأسلوب الذي يتبعونه في الدراسة. فهم يقدرون ترك الخيار لهم في شؤون حياتهم. فكلما كان لهم رأي في القرارات التي تؤثر عليهم كلما ازداد شعورهم بأنهم يتحكمون بأمورهم. والإحساس بالقدرة على التحكم، كما تذكر، هو عامل أساسي في خلق الحوافز لدى الطلاب. ولقد حددنا في الفصل الرابع طرقاً عديدة لتعزيز قدرة الطلاب على التحكم بشؤونهم بما فيها توفير المزيد من الخيارات أمامهم، والتركيز على العوامل التي يمكن السيطرة عليها في حياتهم كطلاب، وتوفير معلومات ارتجاعية وحدود واضحة وتشجيع تبني نظرة تؤمن بإمكانية تحسين مستوى الذكاء.

يظهر الفتيان أيضاً ميلاً لتحميلهم المسؤوليات. وكثيراً ما يبلغني المدرسون بأنهم يستطيعون دفع الفتيان صعبى المراس بتكليفهم بأعمال لها صفة الأهمية أو تلك التي اختيروا هم دون غيرهم من الطلاب للقيام بها. كما أن الكثيرين من ذوي الطلاب يستغلون الفرص لتحميل أبنائهم المزيد من المسؤولية، وعند ذلك يدرك الابن بأنه يُعامل كإنسان بالغ ويرتفع بالتالي إلى مستوى المسؤولية. وحتى لو ارتكب الطالب أخطاءً في خياراته أو في قراراته فيجب إعطاؤه الفرصة للتعلم من هذه الأخطاء بحيث يستطيع اتخاذ قرارات أكثر فعالية في المرة القادمة.

الخوف من الفشل

أظهرت الأبحاث التي أجريت على الفتيان أنهم لا يحبون أن يتميزوا عن الآخرين أو أن يظهروا مختلفين عنهم. أحد الأسباب التي تدفعهم لذلك هو أنهم يفزعون من الفشل. فباعثبارك ذكراً برأيهم فلا بدّ لك من أن تتجح، فإن لم تفعل فسيقلل هذا من شأنك، وهو ما يضع الفتيان تحت الضغط. فإن لم يستطيعوا التعامل مع هذا الضغط فستتخذ ردود فعلهم أحد السبل القليلة التالية:

فقد يخربون على فرص نجاحهم لكي يلتمسوا لأنفسهم أعذاراً إن لم يكن أداؤهم حسناً بالصورة التي يتوخونها. ومن الأمثلة على ذلك اللجوء إلى التهريج، أو المماطلة والتأجيل وتبديد الوقت. وقد تذكر أننا ذكرنا في مطلع هذا الفصل بأن الفتيان أكثر استعداداً من الفتيات للتخريب على أنفسهن.

أسلوب آخر قد يلجأ إليه الفتيان للتعامل مع خوفهم من الفشل حيث يعمدون إلى عدم الالتزام بالمدرسة والاستسلام كلياً لفشلهم. وهذا ما يلجأ إليه عدد لا يستهان به من الفتيان.

وقد يحاول البعض الآخر تحقيق إنجازات بطرق غير أكاديمية، حيث يعتقد الفتيان بصورة خاصة في مثل هذه الحالات بأنه من «الظريف» بالنسبة لهم أن يظهروا بمظهر الحمقى شريطة ألا يصل الأمر إلى اعتبارهم أغبياء. فكونك أحق يعني أنك لم تحاول بما فيه الكفاية ولا يعني وصمك بالغباء. فأن يظهر الطالب على أنه أحق إنما يحميه من الإحساس بفقدان قدرته على احترام نفسه – إذ إنه ظهر بأنه يعمد إلى التهريج ولا يحاول إنجاز واجباته ولا الدراسة فلن يوصف بالغباء ولن يفقد بالتالي احترامه لنفسه.

ناقشنا في الفصل العاشر عدداً من الأساليب التي يمكن اتباعها للتخفيف من خوف الفتيان من الفشل. من هذه الأساليب تشجيعك لابنك بتجري ما ارتكب من أخطاء، وتحسين الأسباب التي تدفع ابنك للتعلم وتوجيهه حول كيفية التعامل مع الفشل بفعالية أكبر، وتخفيف العلاقة بين قيمة ابنك وإنجازاته وكذلك تخفيف حدة الصلة بين قيمتك كشخص وبين إنجاز ابنك الدراسي.

المزيد حول الفتيات

أي من القضايا التي يتحدث عنها هذا الفصل ينطبق على الفتيات؟ كل هذه القضايا بالتأكيد، ولست أحتاج لإبلاغك بأن الفتيات يجنين فائدة كبيرة من الأمور التالية:

- علاقة جيدة مع ذويهن.
 - احترام ذويهن لهن ولأولوياتهن وما يفضلنه.
 - توفير جو يتسم بالمرح والدعابة في حياتهن التعليمية.
 - وجود صلة بين ما يتعلمنه وفائدته لحياتهن.
 - إتقان أعمالهن المدرسية.
 - تحقيق فرص أوفر لنجاحهن.
 - المزيد من الإحساس بقدرتهن على السيطرة على حياتهن وتمتعهن بروح المسؤولية.
 - تخفيف الإحساس بالفشل لديهن وتوسيع فرصهن لتحقيق النجاح.
- كل هذه إنما هي استراتيجيات يمكنك اللجوء إليها لدعم ما لدى ابنتك من نقاط قوة ومعالجة تلك النواحي التي تثير القلق.

مدارس منفصلة لكل من الجنسين أم مدارس تعليم مختلط؟

لم أتناول قضية التعليم الذي يفصل بين الجنسين ومدارس التعليم المختلط. ولقد أشارت بعض الأبحاث إلى أن هنالك فروقاً من ناحية ما يحققه كل من هذين النمطين من المدارس من إنجازات حيث يظهر بأن طلاب المدارس التي تفصل بين الجنسين يحققون أداءً أفضل من أولئك الذين يدرسون في مدارس تخلط بين الجنسين.

أما تحليلي فهو أنه لا يوجد فرق كبير بين هذين النمطين من المدارس بحيث لا يمكنني أن أعلن بكل ثقة بأن أحد النمطين يتفوق على الثاني فيما يخص إنجازات الطلاب. ما يمكنني قوله هو إن الفروق بين التعليم الذي يفصل بين الجنسين والتعليم المختلط تتضاءل ولا تظهر لها أية أهمية إذا ما قورنت بما يمكن للمدرس أن يفعله بالنسبة لإنجازات طلابه. فللمدرس التأثير الأكبر على إنجازات طلابه يتجاوز بكثير مدى تأثير المدارس التي تقوم على الاختلاط وتلك التي تفصل بين الجنسين.

يجدر بك أن تمنع النظر أكثر من ذلك في العوامل الأخرى المتصلة بتعليم ابنك/ابنتك. من هذه العوامل مدى اهتمامك بوجود فتیان في حياة ابنك المدرسية (أو وجود فتیات في حياة ابنتك المدرسية)، وما تسمعه فيما إن كان طلاب آخرون من مدرسة ابنك يستمتعون بحياتهم المدرسية، وفيما إن كان المدرسون يستمتعون فعلاً بالتدريس فيها، وفيما إن كانت العلاقة بين المدرسين والطلاب تحتل مكانة متميزة، وكذلك العلاقات مع ذوي الطلاب ومدى انخراطهم في النشاطات المدرسية، والصلة مع المجتمع المحيط ككل، وسمعة المدرسة فيما يخص تطوير قدرات الشباب بحيث يتصرفون بالاستقامة في سلوكهم، وأسلوب المدرسة في تهيئة الطلاب لمواجهة الحياة بعد انتهائهم من المدرسة، والعلاقات التي قد تقيمها المدرسة مع جامعة أو برنامج أبحاث نشط، أو الأمور التي توفرها المدرسة بحيث تضيف المزيد إلى قدرات الطلاب مثل التعليم المهني، أو التعليم الديني، أو صغر حجم الفصول، أو اتباع استراتيجية من شأنها مجابهة محاولة بعض الطلاب التمرّ على البعض الآخر، أو وجود برنامج يساند بموجبه الطلاب بعضهم بعضاً، أو برنامج للاختبارات المهنية وما إلى ذلك من الأمور التي يجدر بك تقصّيها. فالمدرسة مؤسسة أكبر وأهم من مجرد إنجازات. لست أقلل بأي صورة من الصور من شأن الإنجازات، فالمدارس هي المكان الذي يستهدف تحقيق الإنجازات - غير أن عليك ألا تغفل حقيقة أن المدرسة إنما تمثل المسار الذي يمر فيه الطفل في طريقه إلى سن البلوغ، مساراً يشمل أموراً تتجاوز في أهميتها مجرد تركيبة المدرسة وفيما إن كانت تضم جنساً واحداً أو طلاباً من الجنسين.

الحياة في عالم الواقع

لا تحدث الأمور في عالم الواقع كما تتحدث عنها الكتب، وإليك بعض الأمور التي يجدر بك التفكير بها وأنت تهضم ما احتواه هذا الفصل.

● ليس جميع الفتيان متماثلين على الرغم من أنه كان عليّ أن ألجأ في هذا الفصل لتعميم وصلّ إلى درجة تؤلّمني. عليك أن تفرّق بين ما قلته وبين وضعية ابنك الفعلية فيما لديه من نواحي قوة أو ضعف، وما يحبه أو يمقته هو بالذات.

● قد تستفيد ابنتك مما تحدث عنه هذا الفصل. فالمبادئ والقواعد التي تناولها قابلة للتطبيق على أي طالب أو طالبة، وإن كانت تتناول الفتيان على وجه الخصوص.

● هل لدى الفتيان مشكلة؟ لا، بالتأكيد فهم ممتازون وعلينا أن نحرص على ألا نقنعهم بأن لديهم مثالب، سواء من الناحية الأكاديمية أو من جانب ما يتمتعون به من حوافز. قد تكون لديهم دوافع أقل في بعض الجوانب مقارنة بما لدى الفتيات، غير أن من الممكن تنمية مهاراتهم فيما يخص هذه الدوافع. وعلى هذا يجدر بنا أن نكون متفائلين فيما يتعلق بالفتيان.

● هل يمكن للأمهات بالذات أن يؤثرن تأثيراً هاماً على أبنائهن من الذكور؟ أجل بالتأكيد، ولست تحتاج لذكاء أنيشتاين لكي تكتشف بأن بإمكان الأمهات، شأنهم شأن الآباء تماماً، تطبيق الاستراتيجيات التي بحثناها في هذا الفصل وبكل فعالية (وهذا ينطبق على المدرسات والموجهات من الإناث). وكما ذكر لي الكثيرون من الفتيان فإن الأمر يعتمد على طبيعة كل مدرّس أو موجه على حدة، والعلاقة التي يمكن للفتيان من الذكور أن يقيمها معه/ معها. ولقد قال لي أحد الفتيان: «لا يهم إن كان المدرس رجلاً أم امرأة. لا يهمني ذلك ما دام هذا المدرس يحاول مساعدتي على التعلم، فهذا هو الأمر المهم بالنسبة لي».

- احترام ابنك لا يعني موافقتك إياه على كل ما يقول أو يفعل. يمكنك احترامه كإنسان ومع ذلك تظل لا توافق على بعض ما يفعله. كما أن إخبارك له بأنك لا تستسيغ سلوكه لن يقلل من احترامك له أو احترامه لك.
- لا يمكنك أن تمازح ابنك طوال الوقت، فالأمر قد لا تحتل المزاح أحياناً، عليك وابنك أن تأخذا الأمور بكل جدية. وقد تكون الأمور مضحكة في بعض الأحيان ولكنك لست في مزاج يسمح لك بالمزاح حينذاك، وهذا أمر مقبول عليك ألا تجبر نفسك على ما لا تطيق.
- هنالك أعمال مدرسية مملة من دون شك تتعلق بعالم ابنك. ولقد تحدثت في ذلك مع العديد من المدرسين الذين يقولون إن بإمكان الفتيان التغاضي وإنجاز هذه الأعمال التي تبعث على الملل إن كانت هناك أعمال مدرسية أخرى تثير اهتمامهم وتتصل بحياتهم. كما أنهم يقولون بأن خلط الأعمال المدرسية ببعض الشيء قد يكون سبيلاً حسناً للتعامل مع الأعمال المملة: مثلاً قضاء ربع ساعة في نواحي عملية تتلوها نصف ساعة من الدراسة النظرية.
- لا يفهم معظم الطلاب كل ما يفعلونه في المدرسة، وهذا ما حدث لي بالتأكيد، ولكنني كنت قادراً على استيعاب ما أحتاج لمعرفته لكتابة موضوع معين، أو أداء امتحان أو لفهم أمور أخرى أحتاجها في دراستي المستقبلية. ليس من الواقعي أن تتوقع من ابنك إتقان كل ما يتعلمه. لا تدفعه عنوة طمعاً في تحقيق ذلك، بل إلى إتقان الأمور المهمة فحسب.
- لست تريد أن يُطلب منك مكافأة ابنك على كل ما يفعله. تخير الأوقات المناسبة لذلك مثل الحالات التي يهبط فيها مستوى اهتمامه، أو عندما يطلب منه أداء عمل مهم جداً، أو بعد أن يبذل جهداً كبيراً، أو لدى إنجازه مرحلة رئيسية من مراحل دراسته. علمه كيف يكافئ نفسه بنفسه أثناء مساره المدرسي. يمكنه مثلاً أن يمارس اللعب على الحاسوب أو يتصفح شبكة الانترنت بعد جلسة دراسية جيدة، أو سماع شريط يحبه بعد أن يكتب موضوعاً في يوم عطلة.

- قد لا تستطيع تقديم خيارات متعددة لابنك في جميع الأمور التي يفعلها، وقد يتطلب الوضع في الواقع أن تحدّ من خياراته. غير أنه لا بدّ من القول إنه سيظهر استجابة أكبر إن شعر بأنك تبذل جهداً حقيقياً لكي يسمح له بإبداء رأيه في الوضع أحياناً.
- لا تفترض بأن ابنك يظن بأن من «الظرف» إظهار الحماسة في سلوكه لمجرد كونه ذكراً، أو أنه لا بدّ أن تنطبق عليه الموصفات النمطية الشائعة التي تصور الفتيان على أنهم يميلون إلى إظهار الحماسة في سلوكهم. بعض الفتيات يظهرن ميلاً لاعتبار الحماسة دليلاً على الظرف بينما لا يميل البعض من الذكور إلى ذلك.
- لا تتوقع اجتثاث الخوف من الفشل كلياً من حياة ابنك، بل حاول أن تخفف من هذا الخوف فحسب كما ذكرت في الفصل العاشر. وعليك كذلك ألا تتوقع بأن لا يحاول ابنك أن يبدي سماته كذكر (مهما كان مفهومه للذكورة)، أو ألا يريد أن يبدو صعب المراس وما إلى ذلك من أمور. تقبّل حقيقة وجود ضغوط كبيرة تمارس على الفتيان (وعلى الفتيات) تدفعهم للتصرف بأساليب شائعة في الثقافة السائدة حول أساليب سلوك الفتيان (أو الفتيات). يكفي ان تتمكن من تخفيف العبء عنه بطريقة تساعد على خلق الحوافز لديه.
- لم أتحدث كثيراً عن أصدقاء ابنك، ولا تنسَ أنهم يحتلون مكانة مهمة لديه سواء أحببتهم أنت أم لا. ولقد تبين لي من حديثي مع الفتيان كم يتمتعون بصحبة زملائهم في الفصل، وكم يزيد هذا من شعورهم بالاستمتاع في حياتهم المدرسية. ولقد قال لي أحد الفتيان «عندما تكون في الفصل مع أصدقائك فإنك تمارس حياة اجتماعية ممتعة وتتجز الكثير من الأعمال معظم الوقت. أما إن وجدت نفسك وحدك في الفصل دون أن يكون معك أحد من أصدقائك فإن الأمور تصبح قاتمة ولا تستطيع أكثر من الجلوس وحيداً «تخربش» على كتابك».

● علينا ألا ننسى كذلك بأن ابنك قد يواجه مشكلة في الموازنة بين الضغوط التي يمارسها أصدقاؤه عليه وبين الضغوط الناشئة عن أعماله المدرسية. وقد أوجز أحد الفتيان ذلك بالقول: «زميلي من نمط أولئك الذين يتكلمون طول الوقت ويعرضون أنفسهم للمشاكل باستمرار. لست أستطيع التركيز أو إنجاز ما يطلب مني بالطريقة المناسبة. يمكنني تغيير مكاني إن أردت ذلك ولكنني قد أنتقل إلى جانب طالب آخر لا أود مجاورته. أريد أن أكون بجانب صديقي ولكنني لا أريد له أن يتكلم طوال الوقت». حاول مساعدة ابنك على الموازنة بين هذين النمطين من الضغوط بالأساليب المناسبة. ولقد قدم لي أحد الفتيان هذه النصيحة «يجب أن تكون قادراً على المحافظة على جانبين في شخصيتك، جانب يمكنك من التعلم جيداً، وآخر يمكنك من العبث. يمكنك أن تحسن الأداء في المدرسة ثم تعبث مع أصدقائك خارجها».

إيجاز للفصل:

ركزت في هذا الفصل على موضوع خلق الحوافز لدى الفتيان؟ غير أنني، وإن كنت أعتقد بأن نواحي التشابه هي أكبر من نواحي الاختلاف بين الفتيان والفتيات فإن من المهم لنا أن ندرك بأن هناك نواحي تتعلق بخلق الحوافز لدى الفتيان تختلف عما هو عليه الأمر بين الفتيات. وقد تبين لي من أبحاثي الخاصة بأن الفتيان يحققون معدلات أدنى من تلك التي تحقّقها الفتيات في أمور مثل التخطيط للدراسة، وإدارة العملية الدراسية، والمثابرة، وتقدير قيمة المدرسة والتركيز على التعلم. كما أن الفتيان يسجلون معدلات أعلى مما تسجله الفتيات فيما يتعلق بالتخريب على النفس. وفي ضوء الأبحاث السابقة التي راجعتها بشأن تعليم الفتيان، وما أجرّيته أنا نفسي من أبحاث تناولت الآلاف من الطلاب ومدرسيهم فإنني أود الإشارة إلى أن الاستراتيجيات التالية هي الأكثر فعالية في تعزيز الحوافز لدى الفتيان وهي بناء علاقة حسنة معهم، واحترام أولوياتهم وما يفضلون، والحفاظ على روح المرح والدعابة، وتحديد الصلة بين ما يتعلمونه وبين شؤون حياتهم وفائدته لها كلما كان ذلك ممكناً، والتأكد من إتقان الأعمال المدرسية، وبناء فرص أكبر للنجاح ول منح المكافآت، وتعزيز قدرة الفتيان على السيطرة على أمورهم وإبداء روح المسؤولية ومعالجة خوف الفتيان من الفشل.

النقاط الخمس الرئيسية في الفصل الثالث عشر

١- ليكون هدفك هو بناء علاقة حسنة مع ابنك عن طريق احترام أولوياته وما يفضله وخياراته واهتماماته، وعن طريق توفير أسلوب يتسم بالمرح والدعابة في هذه العلاقة.

٢- احرص على صرف الوقت اللازم للتأكد من أن ابنك يفهم الجوانب الهامة في عمله المدرسي وفي تجربته مع النجاح كلما كان ذلك ممكناً. ويشمل ذلك شرح الأمور بوضوح، والتقدم بببطء، وتوجيه الأسئلة له لتحري مدى فهمه والسماح لابنك بتطبيق ما تعلم ووضعه موضع التنفيذ.

٣- حاول ما أمكنك أن تقرن ما يتعلمه ابنك مع الجوانب الأخرى لحياته ومع العالم عامة، وما يمكن له أن يفعله في مستقبل حياته. بين لابنك بأن مهارات الفهم التي ينميها على مسار دراسته قد تصبح ذات فائدة له في الكثير من الوضعيات التي يواجهها في الوقت الحاضر، وتلك التي سيواجهها في المستقبل. وعندما تكون الأعمال المدرسية باعثة على الملل حاول أن تخطها بأعمال مدرسية أخرى يستمتع بها ابنك.

٤- شجع ابنك على إبداء روح المسؤولية، على أن يتم ذلك ضمن حدود معينة. اسمح له بإبداء رأيه في القرارات التي تؤثر عليه وعلى العائلة بشكل عام. وفر له مجالات الاختيار فيما يود أو لا يود دراسته وفي أساليب هذه الدراسة. تحلّ بروح الصبر وحرص على الوقوف جانباً على أن توفر له الدعم والتوجيه الكافيين في الوقت المناسب.

٥- قد يحاول ابنك، نتيجة لخوفه من الفشل، أن ينتهج أساليب في التصرف تتسم بالحماسة ظناً منه بأنها توحى «بالظرف» وخفة الدم، وفي محاولة منه لئلا يظهر بمظهر يختلف فيه عن أقرانه. احرص على تشجيعه لإعادة النظر في أخطائه، وعلى تطوير الأسباب التي تدفع ابنك للتعلم، وعلى التعامل مع الخوف من الفشل بطريقة أفضل وعلى تخفيف الربط بين قيمته كإنسان وبين إنجازاته كطالب، وكذلك التخفيف من الربط بين قيمتك أنت وبين إنجازاته هو.

الفصل الرابع عشر

تحفيز الطلاب الموهوبين

- أود قبل البدء بهذا الفصل أن أدعو جميع الآباء والأمهات لقراءته للأسباب التالية:
- القضايا الهامة المتعلقة بتحفيز الأطفال النوابغ والموهوبين لها أهميتها أيضاً بالنسبة للأطفال جميعاً.
 - سأحدث في هذا الفصل بالتفصيل عن أمور مثل الخوف من النجاح، وهي أمور لم أفصل فيها في الفصول السابقة.
 - يتمتع بعض الطلاب بقدرات قوية في مادة أو مادتين، ولذا فإن هؤلاء، وإن كانوا غير مصنّفين كطلاب نوابغ أو موهوبين فإنهم قريبون من هؤلاء بما فيه الكفاية بحيث تنطبق عليهم الاستراتيجيات نفسها.
 - قد لا تظن بأن ابنك موهوب أو نابغة على الرغم من أنه كذلك. لذا عليك ألا تهمل قراءة هذا الفصل.
 - سواء أكان ابنك موهوباً أم لا فربما كان أدائه دون قدراته الفعلية. فهذا الأمر هو ما سأتناوله بالتفصيل في هذا الفصل.



ضممت هذا الكتاب فصلاً خاصاً عن الطلاب النوابغ والموهوبين نظراً لأن عدد المدارس والمدرسين والآباء والأمهات الذين يطرحون قضية تحفيز هؤلاء الطلاب عدد مذهل كما تبين لي. بل إنني في الواقع لم أمس قدراً

من الشعور بخيبة الأمل بشأن أي قضية شأن القضايا التي تدور حول الطلاب النوايغ والموهوبين الذين يفتقرون للحوافز بحيث أن أداءهم هو دون قدراتهم الفعلية. غير أنني أود التأكيد بأن هذا الفصل، وإن كان يعالج موضوع الحوافز لدى الطلاب النوايغ والموهوبين وتدني أدائهم بالمقارنة مع قدراتهم فإنه يضم معلومات مهمة جداً ومؤثرة بالنسبة لجميع الطلاب.

كيف لي أن أعرف إن كان ابني موهوباً؟

ليس هناك تعريف متفق عليه يحدد من هم الأطفال النوايغ أو الموهوبون، وهو أمر ينطبق على معظم التصنيفات. فالبعض يحدده بمعدل اختبار الذكاء الذي يحققه الطفل (١٤٠+ مثلاً)، بينما ينظر إليه البعض الآخر من منظور القدرات التي يبيدها الطفل في ميادين متعددة (ويطلق على ذلك موضوع الذكاء المتعدد). ويعرفه البعض على أساس مقارنة العمر بمستوى الدرجة التي يُقيَّم فيها أداء الطفل (يسبق أقرانه ممن هم في سنّه بمعدل سنتين مثلاً). ويقول البعض الآخر إن الأطفال الموهوبين هم أولئك الذين يظهرون قدرات عالية بينما يظهر الموهوبون إلى درجة متفوقة تصل إلى مستوى النبوغ قدرات عند أعلى مستوى ممكن.

أي من هذه التعريفات هو الذي أتبناه؟ لست أتبني أيّاً منها بنسبة (١٠٠) في المائة بل أعتقد أن أي تقييم شامل لا بدّ له من أن يأخذ عوامل عديدة بعين الاعتبار، بما في ذلك معدل اختبار الذكاء، إضافة إلى تقصي أداء الطالب في عدد من المواد أو ما لديه من مواهب في الفن أو الموسيقى. وأنصح بالاعتماد في ذلك على رأي خبراء مختصين من ذوي التجربة العالية في مضمّار اختبار وتقييم الأطفال.

إن اعتبرت امكانيات طفلك ضمن الحدود المقبولة فإن هذا يضعه ضمن فئة ذوي القدرات العالية، ومعظم هذا الفصل يتصل بهؤلاء. كما أن عليك أن تتذكر بأن العديد، من الأطفال النوايغ والموهوبين يتمتعون بقدرات غير عادية في ميدان واحد أو اثنين، وقد يعتبرون عاديّين في معظم ميادين الأداء الأخرى.

ما هي قضايا التحفيز الخاصة بالنوابغ والموهوبين؟

تنطبق القضايا نفسها الخاصة بتحفيز الطلاب العاديين في كثيرٍ من الأحيان على الطلاب النوابغ والموهوبين أيضاً، وتبنى الاختلافات في غالب الأحيان على مدى انطباق هذه القضايا على الطلاب النوابغ والموهوبين أو تأثيرها على حياتهم:

يناقش هذا الفصل ميادين التحفيز التالية المتعلقة بالطلاب الموهوبين والنوابغ:

- وجهات نظرهم حول معنى أن تكون نابغة أو موهوباً.

- الأخطار الناجمة عن الكفاح الشديد والمجاهدة بالدراسة.

- وجهات نظرهم حول الذكاء.

- إحساسهم بتدني قدرتهم على التحكم بأمورهم.

- الخوف من الفشل.

- الخوف من النجاح وتناذر الادعاء.

- السعي للكمال الكلي.

- الموازنة بين التحديات والمهارات.

- وجهات نظرهم إزاء المنافسة.

سوف أتقصى من جديد إلى جانب ذلك أهمية علاقتك مع ابنك وكذلك بعض سمات العلاقات التي يتجاوب الأطفال النوابغ والموهوبون معها.

وجهات نظر الطلاب حول معنى أن تكون نابغة

يحقق النوابغ والموهوبون قدراً كبيراً من النجاح دون أن يبذلوا الكثير من الجهد أو الدراسة أو التدريب، ودون الكثير من الاستعداد أو التنظيم. وهذا ليس بالأمر السيء في حد ذاته.

تبدأ المشكلة مع تحقيق النجاح دون بذل مجهود حين يتوصل الطلاب إلى الاستنتاج بأنك، كنابهة، تستطيع عمل الأشياء بسهولة، دون جهد أو تدريب أو استعداد أو تنظيم. ويفاقم ذوو الطالب ومدرسه من هذا الشعور لدى الطالب حين يعبرون عن دهشتهم لتحقيقه النجاح ببذل مجهود ضئيل. فعبارة: «ألسنت نابغة؟» هي عبارة عن رسالة مباشرة توجه إلى الطالب فحواها «إن نجاحك دون بذل مجهوداً يعني أنك أكثر حذقاً من نجاحك نتيجة لبذل مجهوداً». فهذا أمر خطير لعدة أسباب:

أولها هو أنك، إن اعتقدت أنك حاذق بحيث تنجح دون جهد فإنك ستتهترز إن تطلب الوضع منك إنجاز مهمة تمثل تحدياً لك أو تتطلب بعض الكفاح.

السبب الثاني: قد يصل الأمر بهذا الطالب إلى تجنب المخاطرة أو مواجهة التحديات - لأن هذا يعني أن هناك احتمالاً لضرورة بذله جهداً - مما يعني بالتالي أنه ليس بتلك الدرجة من النبوغ.

ثالثاً: حين يبدي ذوو الطالب ومدرسيه دهشتهم لدى نبوغه عندما ينجح ببذله القليل من الجهد فقد يتوصل الطالب إلى الإحساس بأن قيمته ستقدر بصورة أكبر إن حقق إنجازاً وأظهر كفاءة. فإن توصل إلى هذا الاعتقاد فإن كل اختبار يؤديه أو موضوع يكتبه أو مشروع يقدمه يصبح بمثابة اختبار لقيمته إلى جانب كونه اختباراً في مادة التاريخ أو الرياضيات أو غيرهما من المواد أيضاً، وهذا لن يمثل مشكلة ما دام الطالب يحقق النجاح، ولكنه قد يتحول إلى مشكلة إن واجه الطالب مخاطرة أو أظهر خوفاً من الفشل.

هنالك عدة أساليب يمكن من خلالها تشجيع الطلاب على تبني وجهات نظر أكثر جدوى إزاء «النبوغ».

أحد هذه الأساليب إنما يتم عن طريق التركيز على تطوير المهارات والارتقاء بقدرات الطالب وتقديره أفضل ما عنده أكثر من التركيز على العلامات أو الدرجات. من شأن مثل هذا المنحى أن يلفت انتباه الطالب إلى أن الرحلة الدراسية تماثل في

أهميتها أهمية الهدف المراد الوصول إليه. ومن شأن ذلك المنحى كذلك أن يحض الطالب على تبني وجهة نظر تقوم على إمكانية الارتقاء بمستوى الذكاء أو النبوغ (مما يحمل الطالب على متابعة جهوده والاستمرار في المحاولة). كما أن من شأنه أن يركز على المجهود (وهو أمر يستطيع الطالب السيطرة عليه ويقلص التركيز على الذكاء (وهو أمر يعتقد الكثيرون من الطلاب أنهم لا يستطيعون السيطرة عليه).

من المهم أيضاً التركيز جيداً على الارتقاء المستمر بقدرات الطلاب النواذب والموهوبين وتطوير مهاراتهم وتشجيعهم على تقديم أفضل ما عندهم نظراً لأن هذا هو المؤشر الوحيد لهؤلاء الطلاب على تقدمهم إلى الإمام ما داموا يحصلون باستمرار على علامات تامة. فالمشكلة الناشئة عن حصول الطالب على علامات تامة على نحو مستمر هو أنه يشعر بأنه قد بلغ سقف الدرجات فلا يحسّ بعد بأي نوع من الارتقاء والتحسين. لسنا نعني بذلك أن علينا أن نظهر قسوة أكبر فيما يمنح لهؤلاء الطلاب من الدرجات بل أن نركز على أهمية توفير مؤشر إضافي على حسن أدائهم مثل تحقيقهم مجموع علامات أعلى مما سبق لهم أن حصلوا عليه بحيث يظهر لهم أنهم تمكنوا من تحصيل المستوى نفسه من الأداء السابق أو أنهم تفوقوا عليه.

استراتيجية أخرى تقوم على أساس توفير معلومات ارتجاعية واضحة مبنية على المهام التي أنجزها الطالب مع التقليل من المعلومات الارتجاعية القائمة على شخصيته أو قدراته. ولذا، وبدلاً من القول له: «إنك نابغة» أو «يا لك من فتى»، وهي أقوال تركز عليه كشخص أو على قدراته هو بالذات فإن من الأفضل أن تقول: «هذه طريقة حسنة حقاً في الكتابة حول هذا الموضوع» أو «عرضك للتجربة العلمية منظم ومفصل بطريقة واضحة». فالمعلومات الارتجاعية المبنية على أساس الموضوع الذي قدمه الطالب تركز على الجهد الذي قام به وليس على شخصه. والمشكلة التي تقوم على تلك المعلومات المبنية على الطالب كشخص هو أن الطالب سيقع تحت المساءلة عندما يطلب منه عمل مدرسي آخر، مما يجد فيه تهديداً لشخصيته إن كان أدائه ضعيفاً في هذا العمل.

غير أن من المهم قبل أن تركز على جهد ابنك كأسلوب لمواجهة أية مشكلة تتعلق به كطالب ذكي أن تدرك بأن بعض الطلاب (وليس كلهم) يجدون في الجهد بضاعة خطيرة. عليك في هذه الحالة أن تأخذ حذرَكَ لدى تركيزك على الجهد كما سنبين فيما يلي.

أخطار بذل المجهود

قد يعتبر بعض الطلاب المجهود أمراً خطراً بما في ذلك بذل مجهود كبير، أو المحاولة أو الدراسة الجدية أو التدريب، خاصة فيما يتعلق بطلاب المرحلة الثانوية النوابع والموهوبين والذين يؤدون أداءً دون مستوى قدراتهم الفعلية (وهذا لا ينطبق على أولئك الذين مازلوا في سن الطفولة). ولقد بينّا في القسم السابق الذي تناول قضية الطلاب النوابع أن مقدار ما يبذله الطلاب من جهد إنما هو مؤشر على مدى نبوغهم أو عدم نبوغهم. ولقد أظهرت الأبحاث أن أولئك الذين ينجحون دون أن يبذلوا جهداً ينظر إليهم على أنهم أكثر نبوغاً من أولئك الذين ينجحون بعد بذلهم مجهوداً كبيراً، وهذا ينطبق على الطلاب أيضاً. فأولئك الذين ينجحون دون أن يدرسوا أو يبذلوا الكثير من المجهود ينظر إليهم في الكثير من الأحيان على أنهم الأذكي.

ينطوي هذا الأمر على مضامين هامة بالنسبة لذوي الطلاب الذين يطلب منهم بذل مجهود أكبر. فقد يتوصل الطالب إلى الاستنتاج بأن ذويه إنما يعتبرونه غير ذكي. ثم إن الطالب ثانياً قد يخشى بذل الكثير من المجهود لأن أي نجاح يحققه سيظهر على أنه نجاح من الدرجة الثانية إن هو بذل مجهوداً كبيراً لتحقيقه.. ويزداد الأمر سوءاً إن فشل بعد بذله لذلك المجهود، إذ إن ذلك الفشل سيكون عبارة عن وصمة تلحق بقدراته أو ذكائه. بل إنه رابعاً سيبدو أكثر ذكاءً إن هو نجح دون أن يبذل أي جهد. وكما قال لي أحد الطلاب عندما حقق نتيجة جيدة في اختبار لم يدرس له: «يا إلهي، كم أنا ذكي!».

ماذا يمكنك أن تفعل كأب؟ لا بدّ لك من أن تستمر في إعطاء المجهود قيمته الحقيقية حيث أنه أحد الجوانب الرئيسية التي يملك الطلاب القدرة على التحكم بها بالنسبة لأعمالهم المدرسية، علماً بأن إبداء قدراتهم على التحكم والسيطرة هي أمر شديد الأهمية. كما أن الجهد هو أحد المؤشرات الرئيسية التي تبشر بالنجاح.

عليك إلى جانب ذلك أن توضح لابنك بجلاء أن مقدار الجهد الذي يبذله لا يعكس بالضرورة وبصورة سلبية مدى ما لديه من قدرات أو ذكاء. فجميع الأوائل في مجالاتهم المختلفة والمفكرين المتميزين احتاجوا لبذل مجهود كي يصلوا إلى ما وصلوا إليه. وعلى من يحتلون مراكز الصدارة في ميادين الرياضة المختلفة أن يتدربوا تدريباً شاقاً ليحققوا الفوز. كما أن على كبار رجال الأعمال أن يقضوا سنوات وسنوات وهم يطورون مهارات تمكنهم من النجاح، وهذا ينطبق أيضاً على نجوم الغناء ممن يقضون أوقاتاً طويلة وهم يتمرنون ويسجلون أصواتهم في الاستديوهات لكي يصدروا «ألبومات» غنائية متميزة. باختصار، ليس هناك أي دليل يشير إلى أن أولئك الذين يحتلون مراكز مرموقة قد وصلوا إلى تلك المكانة دون أن يبذلوا جهوداً شاقة للوصول إليها.

يحسن بك كذلك ألا تبالغ في مديح ابنك لأنه نجح بعد أن بذل مجهوداً ضئيلاً. عليك أن تعترف بنجاحه بالتأكيد، ولكن لا تركز في مديحك على أنه نجح على الرغم من ضالة ما بذله من مجهود. امتدح النجاح عوضاً عن ذلك، ويستحسن أن تتقصى الأساليب التي يمكنه عن طريقها الارتقاء بحيث يوسع نجاحه في المرة القادمة. إلى أين يتجه بعد ذلك وكيف يمكنه الارتقاء بحيث يتجاوز ما أنجزه لا بد له من أن يبذل المزيد من الجهد، غير أن عليك وأنت تفعل ذلك ألا تقلل من شأن ما أنجزه.

أسلوب آخر للالتفاف على المشكلة المحتملة المتعلقة ببذل المجهود، وهو يقوم على التركيز على نوعية، وليس على كمية ذلك الجهد. فالطلاب ينظرون إلى حجم محاولاتهم وليس إلى أسلوب محاولاتهم على أنها هي التي تدل ضمناً على مدى

ذكائهم، وهذا الأمر يشير إلى مؤشر هام وهو يقوم على تشجيع الطلاب على الدراسة بطريقة أكثر فعالية وعلى استغلال وقتهم بصورة أفضل، وعلى تحديد أولوياتهم، ومراقبة انجازاتهم والاستعداد لأداء مهماتهم. كل هذه الأمور ليس فيها تهديد لذكائهم، بل تشير إلى نوعية الجهد وليس إلى حجمه. ولو كنا في عالم يتسم بالكمال الكلي لكان بإمكاننا التركيز على كمية ونوعية الدراسة على حد سواء. غير أنه، إن كان ابنك يربط بين حجم دراسته وبين ذكائه فإنه يجدر بك أن تركز على نوعية الدراسة والأعمال المدرسية بشكل أساسي، فمن شأن ذلك أن يخلص ابنك من معضلة التضارب بين الجهد والذكاء.

وجهة نظر الطلاب إزاء الذكاء

ينحو الطلاب النوايا والموهوبون نحو التعريف عن أنفسهم من منظور ذكائهم وقدرتهم على تحقيق النجاح من دون أن يبذلوا أي مجهود. وبذا فهم يتعلمون بأن قدراتهم الطبيعية من شأنها إنقاذهم، وأنه لا حاجة بهم كي يصرفوا إلا القليل من الوقت والجهد لتطوير المزيد من المهارات الفعالة نظراً لأنهم يملكون في الواقع ما يلزمهم لتحقيق النجاح. مثل هذا النمط من التفكير إنما يضع الأسس التي تؤدي إلى تبني وجهة نظر ثابتة فيما يتعلق بالذكاء، وهي وجهة النظر التي تقول إن الذكاء قدرة ثابتة لا يمكن تحسينها أو زيادتها. تزداد هذه النظرة رسوخاً عندما لا تتوفر أمام الشخص فرصة لتوسيع قدراته أو للتغلب على أمر صعب أو يمثل تحدياً له. أما الطلاب العاديون فإن لديهم فرصاً أكبر لتطوير نظرة تقوم على أساس تحسين مستوى الذكاء نظراً لأنهم كثيراً ما يواجهون تجارب صعبة أو تمثل تحدياً يتطلب منهم تطوير مهارات جديدة - وهذا يمثل برهاناً فورياً بأن من الممكن تطوير الذكاء وتحسينه. أما الطلاب الموهوبون أو النوايا من الناحية الأخرى فهم لا يتعرضون لفرص كافية لمواجهة أدلة تشير إلى إمكانية تحسين مهاراتهم.

من المهم أن نوضح بجلاء أولاً إذن أن من الممكن تحسين مستوى الذكاء وتطويره. غير أن ابنك يحتاج لاختبار هذه النظرية كي يستطيع تعلمها. ولا يمكنه تحقيق ذلك في الواقع إلا بسعيه لمواجهة التحديات التي تتجاوز قدراته قليلاً ولتطوير مهاراته أو توسيع إمكانياته بحيث يستطيع مواجهة تلك التحديات بصورة أفضل. وهو يحتاج لأجل ذلك إلى تبنّي وجهة نظر تساند بذل المجهود (كما شرحناها أعلاه) وتقلل من الخوف من الفشل (كما سنتحدث عنها فيما بعد). ومن المهم له بعد أن يرتفع إلى مستوى التحدي أو يتغلب على الصعوبة أن يفكر بالدرس الذي يتوجب عليه أن يتعلمه من هذه التجربة - وهي أنه يستطيع تحسين مستوى ذكائه وقدراته.

تكتسب هذه القضية أهمية خاصة في السنوات التالية من تعليم الطالب حيث لا تعود، حتى قدرة أكثر الطلاب موهبة ونبوغاً، كافية وحدها لتمكينهم من النجاح. البعض من هؤلاء يهتزون عندما يحصلون على علامة (B) في المرحلة الثانوية أو الجامعية - وذلك لأن نظرتهم الثابتة للذكاء توحى لهم بأنهم لا يستطيعون توسيع قدراتهم بحيث يواجهون أي تحديات أو صعوبات جديدة.

مثل هؤلاء الطلاب لا يتمتعون بالمرونة الأكاديمية الكافية. أما أولئك الذين يحملون نظرة مبنية على أساس إمكانية تحسين الذكاء فإن مثل هذه المواقف لا تهزمهم كثيراً، فهم يتمتعون بحسّ يتسم بالتفاؤل والقدرة على التحكم بالأمر لأنهم يعرفون بأنهم يستطيعون توسيع قدراتهم إذا ما تحسنت نوعية دراستهم واستعدادهم.

إحساس الطلاب بتدني قدرتهم على التحكم بالأمر

سبب آخر يخفف من إحساس الطلاب بالنوايا والموهوبين بقدرتهم على التحكم بأمورهم هو نظرتهم لدوافع نجاحهم وفشلهم. ولقد بينت في الفصل الرابع الذي ناقشت فيه مسألة القدرة على التحكم بالأمر أن الطريقة التي ينظر من خلالها الطلاب إلى أسباب نجاحهم وفشلهم من شأنها أن تؤثر على مدى قدرتهم على التحكم بأمور أعمالهم المدرسية في المستقبل.

الطلاب النوابع والموهوبون الذين يتدنى أداؤهم عن مستوى قدراتهم إنما يرتكبون في الواقع خطأ قاتلاً. فهم يعزّون أسباب نجاحهم إلى عوامل لا يستطيعون التحكم بها (مثل الحظ، أو سهولة الاختبار، أو التساهل في العلامات أو محبة المدرس لهم)، بينما يعزّون أسباب فشلهم إلى افتقارهم للقدرات المطلوبة. مثل هذا النمط من التفكير تفكير خطر، فهم لا ينسبون الفضل لأنفسهم لدى نجاحهم بينما ينعنون أنفسهم بالحماسة حين يكون أداؤهم ضعيفاً. وهم لا يتيحون لأنفسهم فرصة التمتع بالإحساس الحسن أو بالفخر بأنفسهم بينما يلتمسون الأسباب لكي يجلدوا أنفسهم وليشعروا باليأس.

مثل هذا الأسلوب في التفكير لا يثير إحساساً سيئاً لدى الطالب فحسب بل يجردّه كذلك من الشعور بقدرته على التحكم بالأمر. فهو لا يشعر بأنه قادر على تكرار ما حققه من نجاح نظراً لأن نجاحه السابق إنما تم لأسباب خارج نطاق سيطرته، كما أنه لا يشعر بتوفر قدرة كبيرة لديه على تجنب الفشل حيث أنه يعتقد بأن فشله السابق إنما يعود لافتقاره للقدرات. وهو يميل لتبني وجهة نظر ثابتة إزاء إمكانية تطويره لقدراته مما يعني أنه لا يستطيع تحسين مستواه بحيث يتجنب الفشل في المرات التالية، وهو ما من شأنه أن يكبله.

كما شرحت في الفصل الرابع من هذا الكتاب فمن المهم أن توجه تركيز ابنك إلى العوامل التي يستطيع التحكم بها في حياته وإلى تنمية وجهة نظر تقوم على إمكانية تطوير الذكاء.

- ومن العوامل التي يمكن التحكم بها من بين عوامل أخرى كثيرة:
- مقدار الدراسة أو التدريب.
- إعداد الأعمال المدرسية.
- طريقة إعداد الأعمال المدرسية.

- طريقة إدارة الوقت.
- تنظيم جو الدراسة.
- تحديد الأولويات في العمل وتحديد مواعيد نهائية لإنجاز كل منها.
- تحتاج أيضاً للتخفيف من التركيز على العوامل التي لا تستطيع التحكم بها بما فيها: الحظ.
- أسئلة الاختبارات.
- العلامات أو الدرجات التي تمنح للأعمال المدرسية.
- مواقف الطلاب إزاء ابنك.
- الصعوبات البيئية (مثل الطقس، ظروف الاختبار، تعطل الحافلة المدرسية).

مونيك - في المدرسة والجامعة

تنتمي مونيك لعائلة فقيرة، وكانت قد حصلت على منحة للدراسة في إحدى المدارس الخاصة المرموقة، وهي تتمتع بمكانة عالية ومعتبرة في عائلتها نظراً لقدراتها الاستثنائية بشكل رئيسي. علماً بأنها تحظى بذاكرة تصويرية. ولذا كانت تستطيع النجاح في امتحاناتها لمجرد استماعها لما تلقاه في الفصل وتسجيل بعض الملاحظات على عجل. بل إنها كانت تفاخر بأنها لم تقرأ كتاباً بكامله طوال حياتها. ولكنها، وعلى الرغم من أنها استطاعت الإنجاز والنجاح إلى أن أنهت دراستها الثانوية فقد اصطدمت بالحائط لدى دخول الجامعة.

انتسبت إلى فرع يتطلب الكثير من الجهد، ولم يعد بإمكانها التغلب على حقيقة أن (٢٠) في المائة فقط من تقديرات دراستها إنما تقوم على المحاضرات والحصص الدراسية، أما الباقي فهو يتطلب دراسة مكثفة. مثل ذلك صدمة لمونيك لأسباب عدة، أولها أن الدراسة هي شيء لا يفعله إلا الطلاب «الأغبياء» وهي ليست منهم. ثم، هل ستال ثانياً تقيماً عالياً إن كان عليها أن تبذل مجهوداً أكبر لكي تنجح؟ وثالثاً، كيف يدرس الناس على أية حال؟ تبين لها على وجه الإجمال أن تغييرها لعادات دراستها المألوفة بعد انتسابها للجامعة هو أمر لم يعد سهلاً كما كان وهي في المدرسة.

تعثّر مسار مونيك وهي في الجامعة. وعلى الرغم من أنها استطاعت تدبّر أمورها ولكنها لم تتألق كما اعتادت. لقد كان بإمكانها أن تحقق نتيجة أفضل لو أنها تعلمت بعض الدروس المهمة أثناء دراستها. وتقوم هذه الدروس على تنمية نظرة أكثر سلامة حول بذل الجهد، وتبني نظرة جديدة إزاء الذكاء، والتقليل من الربط بين قيمتها كإنسانة وبين قدرتها على الأداء (أو على الأداء من دون بذل مجهود)، والنظر إلى الأخطار نظرة لا تعتبر فيها تهديداً كبيراً لها. أما الطلاب الموهوبون الآخرون فقد تعلموا هذه الدروس بمساندة من ذويهم ومدرسيهم، وبذا أصبحوا قادرين على كسر بعض المطبات التي تحدثنا عنها في هذا الفصل، وهي المطبات التي يقع فيها الطلاب النوابغ والموهوبون.

سبيل آخر لتعزيز إحساس ابنك بقدرته على التحكم بأموره يقوم على إتاحة الفرصة له لإبداء رأيه بصورة أكبر في القرارات التي تؤثر عليه. وقد ناقشنا هذه القضية بالتفصيل في الفصل الرابع، وهذا لا يدعم إحساس الطالب بقدرته على التحكم بأموره فحسب بل يطور كذلك مهاراته في اتخاذ القرارات، وهو ما سيكون ذا فائدة كبيرة له في مستقبل حياته.

ختاماً، لا بدّ من الإشارة إلى أن بعض ذوي الطلاب يعززون إحساس أبنائهم بقدرتهم على التحكم بشؤونهم عن طريق تشجيعهم على تقييم أعمالهم بأنفسهم. فهم يوجهون الطالب حول كيفية تتحيه جانباً لكي ينظر إلى عمله بطريقة موضوعية وتحليلية.

لا شك بأن هذه مهارة شديدة الأهمية إذ إنها تطور قابلية الطلاب على مراقبة مدى تقدمهم ولإجراء التعديلات والتغييرات المناسبة إن دعت الحاجة لذلك. يطلق الأخصائيون النفسيون الذين يعملون في نطاق التعليم على هذا الأمر مسمّى «الانضباط الذاتي» والذي أصبح ينظر إليه أكثر فأكثر كأحد العوامل الحيوية في تحفيز الطلاب. وقد تتولى أنت بعد ذلك تقييم عمل الطالب وتقرّان بين تقييمك وتقييمه وتناقش معه أية اختلافات بين التقييمين. ومن شأن هذا الأسلوب أن يوفر للطلاب فرصة أكبر للتبصّر حول كيفية تقديم أعمالهم المدرسية وتحسينها، والأهم في الموضوع أن يتم ذلك ضمن نطاق التركيز على الارتقاء بمستوى الطلاب بحيث لا يشعرون بأي تهديد أو أحكام مسبقة ضدهم كأشخاص. تأكد من الحكم على عملهم وليس على شخصهم.

الخوف من الفشل:

على الرغم من أننا تحدثنا بالتفصيل عن موضوع الخوف من الفشل في الفصل العاشر من هذا الكتاب غير أن الموضوع يستحق المزيد من البحث نظراً لأن الخوف من الفشل يسود بكثرة بين الطلاب النوابع والموهوبين ممن يتدنّى أدائهم دون مستوى قدراتهم الفعلية. فالكثيرون من هؤلاء الطلاب كانوا قد بنوا هويتهم على

أساس قدراتهم، ويعتقد الكثيرون منهم أن قيمتهم تقدر تبعاً لمستوى إنجازهم فقط، فهل من المدهش أنهم يخافون الفشل؟ لقد قيل لي: «لن تخاف من الخسارة إن لم يكن لديك ما تخسره». أما الطلاب النوايغ والموهوبون فأمرهم عكس ذلك، إذ عندما يكون عندك كل شيء فإنك ستخسر كل شيء، ولذا فإن خوفهم من الفشل يكون مبالغاً فيه. وكما يقال فإنه لا يوجد عبء أكبر من الإمكانات العظيمة.

هناك سبيلان رئيسيان لمعالجة خوف الطلاب من الفشل:

أولهما أن على الطلاب النوايغ والموهوبين أن يروا في الأخطاء ما توفره من معلومات مهمة حول كيفية تحسين أدائهم في المرة القادمة وألا يروا فيها بأنهم أصبحوا في وضع ميئوس منه، أو أن لا أمل فيهم ولا فائدة من محاولتهم من جديد. فبكبح جماح الفشل لا يعود الطلاب يعيشون في ظل الخوف من الفشل. وهذا لا يعني أن عليهم ألا يكثرثوا بالأخطاء، فلا بدّ لهم من أن يهتموا بها ولكن على أساس أن يعتبروها منصّة ينطلقون منها إلى النجاح. عليك في الواقع أن تشجع ابنك على التوضحية ببعض الأخطاء والإقدام على بعض المخاطرة. فإن طوّر مثلاً أسلوباً جديداً للدراسة فقد لا يكون أدأؤه مرتفعاً بالقدر الذي يرغب به طالما كان يعمل على إتقان هذا الأسلوب - غير أن تطوير أسلوب جديد فعال في الدراسة يستحق المجازفة.

السبيل الثاني للتخفيف من خوف الشباب من الفشل إنما يتم عن طريق تخفيف العلاقة بين إنجاز الطالب وقيّمته كشخص. فإن ربط الطالب شعوره بالارتياح بحسن أدائه فإن من شأن ذلك أن يرفع من حجم المجازفة لدى أدائه كل اختبار أو امتحان، أو كتابة أي موضوع. ولذا لا يصبح اختبار الرياضيات اختباراً للرياضيات فحسب بل لقيمة الطالب نفسه ككل. فهل من المستغرب إذن أن يخاف مثل هؤلاء الطلاب من الفشل إن كان هذا يعني فشلاً بالنسبة له كشخص؟ على ذوي الطلاب ومدرسيهم والحالة هذه أن يوضحوا لهم بكل جلاء بأن قيمتهم كأشخاص هي أمرٌ

مفروغٌ منه وأن عليهم ألا يخلطوا بين قيمتهم وبين إنجازاتهم. هذا لا يعني أنك لن تصاب بخيبة أمل إن لم يحسن الطالب أداءه - غير أن عليك ألا تصب خيبة أملك على الطالب نفسه بل على ضعف مستوى دراسته أو ما يبذله من جهد.

الخوف من النجاح ومتلازمة الادعاء:

مثلاً يمكن لأداء الطلاب النواذب والموهوبين أن يكون أدنى من قدراتهم بسبب خوفهم من الفشل فإنه يمكن لخوفهم من النجاح أن يترك تأثيراً سلبياً عليهم. وعلى الرغم من أننا تحدثنا كثيراً في هذا الكتاب عن مدى الضغط الذي قد يتعرض له الطلاب نتيجة لخوفهم من الفشل فإن الخوف من النجاح يحمل في طياته أيضاً ضغوطه عليهم.

فالنجاح يعني أن لديك ما تخسره في المرة القادمة، وبعض الطلاب يشتمون اللحظة التي حصلوا فيها على علامة ممتازة إذ إن كل ما يدور في أذهانهم هو أنهم لن يواجها بعد ذلك إلا الطريق النازل، ولذا فإن علامة أو معدلاً جيداً إنما يمثل في نظرهم ضغطاً فورياً يلحّ عليهم بأنه أصبح لزاماً عليهم بأن يؤديوا أداءً ممتازاً في المرة القادمة.

يمكن للنجاح أيضاً أن يحمل معه إحساس الطالب بأنه يختلف عن أصدقائه وأقرانه. وتجدر الإشارة إلى أن الحاجة للتماثل والتطابق مع الآخرين هي حاجة هامة بالنسبة للمراهقين، وإذا كانت العلامة الجيدة تعني خروجهم عن نسق أقرانهم فإنها ستصبح شيئاً يبعث على الخوف، وينطبق هذا الأمر على الفتيان خاصة.

قد يعني النجاح أيضاً أن الطالب قد تفوق على الآخرين في فصله مما يشغل أذهان بعض الطلاب من أن ذلك سيزعج أصدقاءهم، أو يؤدي مشاعرهم أو يقلل من شعبيتهم بين زملائهم بطريقة ما. الفتيات بشكل خاص يواجهن مثل هذا الخوف.

يعني النجاح بالنسبة لبعض الطلاب أن أمرهم سينكشف في يوم من الأيام،

وسينكشف قصور قدراتهم للآخرين. وهم يشعرون في كل مرة ينجحون فيها بأن نجاحهم مخادع وأن افتضاح أمرهم قد اقترب خطوة أخرى. إذ إنهم يشعرون بصورة أساسية بأنهم مدّعون يتخفّون في رداء طالب قدير. يطلق على هذا الأمر تعبير «متلازمة الادعاء»، وهي سمة نمطية تشاهد لدى الفتيات بشكل خاص، (وإن كان الفتيان قد يقعون ضحية لهذه المتلازمة أيضاً).

ربما كان ضعف الإيمان بالذات هو العامل الأكثر شيوعاً في حالة الخوف من النجاح. فمثل هؤلاء الطلاب يشعرون بأنهم لا يستحقون أي نجاح تحقق لهم، وهم يفتقرون للثقة بأن الآخرين سيحبونهم إن تفوقوا على غيرهم من الطلاب وسيثون الظن بأنفسهم بحيث لا ينسبون لأنفسهم فضل النجاح بل يعتبرونه مناسبة أخرى استطاعوا فيها خداع كل من يحيطون بهم.

قدمت في الفصل الثالث من هذا الكتاب أساليب عديدة من شأن انتهاجها تعزيز إيمان الطلاب بأنفسهم. غير أن أحد هذه الأساليب هو وحده الذي يخص الطلاب الذين يخافون من النجاح - وهو معالجة التفكير السلبي، وهذا يستدعي كما أشرنا من قبل إلى:

- التعرف على مطبّات التفكير السلبي.
- تطوير مخاطبة أكثر إيجابية مع النفس.
- تطوير تفاؤل واقعي.
- مطبّات التفكير السلبي التي يقع فيها الطلاب تشمل على سبيل الإيجاز:
 - التفكير على أساس أبيض أو أسود (إما الأمور سهلة أو مستحيلة).
 - التفكير المنحاز (التفكير القائم على تفسير سيء للأمور الحاصلة).
 - التفكير بأن العالم قد انتهى (التفكير بأن العالم قد انتهى إن رسب الطالب في اختبار ما).

- تحويل الأمور الإيجابية إلى سلبية (إن نجح الطالب في الامتحان فإنه ينظر إلى ذلك على أنه يمثل المزيد من الضغط عليه من أجل النجاح في المرة القادمة).
- التعميم الشديد (إن واجه أمراً غير سار في موضوع ما فإن هذا سيتكرر في مواضيع أخرى).

شرحت في الفصل الثالث أن تطوير خطاب إيجابي مع النفس يتطلب من الطلاب تحدي متطلبات التفكير السلبي باللجوء إلى التفكير الإيجابي. وبدل الحس السليم على أن الطلاب يعززون فرصهم في تحقيق أداء أفضل في المدرسة إن تقدمت دراستهم خطوة إلى الأمام في كل مرة، وإن بذلوا بعض الجهد، وإن حسّنوا نوعية دراستهم وأدائهم لأعمالهم المدرسية، وإن هم زادوا من انتباههم لملاحظات المدرس الارتجاعية حول ما قدموه من أعمال، وإن أظهروا تنظيمًا أكثر وخططوا لما سيفعلونه بصورة جيدة.

هنالك ميادين ثلاثة في تفكير النواغ والموهوبين يمكن من خلالها تطوير تفكير ينحو إلى التفاؤل الواقعي وهي:

- الطريقة التي ينظر بها الطالب إلى الأحداث الماضية (إذ يتجنب التفكير المستمر بالأداء المتدني أو الأخطاء التي ارتكبها، بل يتعلم منها ويمضي قدماً إلى الأمام).
- الطريقة التي ينظر بها الطالب إلى الأحداث الراهنة (إذ يسعده الوضع الذي هو فيه في اللحظة الراهنة بحيث يتجنب إطالة التفكير بما حدث في الماضي أو يشغل ذهنه بما قد يحدث في المستقبل).
- الطريقة التي ينظر بها إلى المستقبل (تفكير الطالب بأنه يتمتع بالقدرة على التعامل مع أي أمر يواجهه في المستقبل).

ختاماً، لا بدّ من الإشارة إلى أن الطلاب الذين يخافون النجاح يصرفون الكثير من الوقت في التفكير بأن نجاحاتهم السابقة كانت مجرد حسن حظ، وأن أي نجاح يحققونه في المستقبل سيُجلب لهم استنكار أصدقائهم أو أنه سيكشف عن كونهم مجرد مدّعين.

البحث عن الكمال

السعي للكمال مشكلة شائعة لدى الطلاب النوايع والموهوبين. فنظراً لأن قدرتهم على التمييز تصبح جزءاً من هويتهم الشخصية أو لأنهم يبنون قيمتهم كلياً على تمييزهم الأكاديمي فإنهم يشعرون بالخطر إن هم سلّموا عملاً قد يكون دون المستوى الممتاز. وهم يرون مع الأسف أن الكمال هو الضمان الوحيد لهم للتمييز. كما أنهم، نظراً لأنهم يتلقون قدراً كبيراً من المديح والإشادة بحسن أدائهم ومستوى الكمال في بعض ما يقدمونه من مواضيع فإنهم ينحون للاعتقاد بأن أي إنجاز لا يرقى إلى درجة الكمال من شأنه أن يعرضهم لخفض ما يتلقونه من مديح وإشادة.

ناحية مهمة أيضاً بالنسبة للطلاب النوايع والموهوبين الذين ينشدون الكمال هو أن ذلك قد يمثل سبيلاً لهم لتجنب الفشل. فهم، فيكفاحهم الشديد من أجل تحقيق الكمال قد يبررون أداءهم المتدني نسبياً نظراً لأن هدفهم شديد السمو والارتفاع. فأى شخص لا بد له وأن يعجز عن تحقيق المستوى المرتفع الذي حدده لنفسه استعداداً لاختبار أو لإنجاز موضوع ما.

قد يكون السعي لتحقيق الكمال سبيلاً آخر لتبرير الطلاب مماتلتهم وتأجيلهم أو عدم بذلهم للمجهود المطلوب. كيف يمكن أن يلام أي شخص لإرجائه العمل من أجل تحقيق مثل هذا المستوى المرتفع من العمل؟

المشكلة في استهداف الكمال أنه صعب المنال - حتى بالنسبة للطلاب النوايع والموهوبين - وإذا استطاع ابنك الوصول إلى الكمال فإن هذا كثيراً ما يكون على حساب أمور أخرى كثيرة، ويشمل ذلك في غالب الأحيان إنجاز مواضيع أو مشاريع في مواد أخرى.

من الأمور التي تتعلق بشكل خاص بمن ينشدون الكمال هو ذلك الاختلاف الهام بين التميز والكمال، والطلاب الذين يملكون الحوافز يتعرفون على هذه الفروق ويكتفون بالتميز.

هذا يعني أنهم يستطيعون إنجاز واجباتهم الأخرى والدراسة وبذل أقصى ما في استطاعتهم في المواضيع كلها. وقد يجدر بك أن تعود لقراءة الفصل العاشر من هذا الكتاب والذي يناقش ببعض التفصيل الفرق بين التميز والكمال. وسيلة أخرى للتقليل من السعي لتحقيق الكمال هي حمل ابنك على تحديد حدود زمنية صارمة معينة لنفسه. وهنا يمكنه أن يقول لنفسه مثلاً: «سأتوقف عن العمل في هذا المشروع في الساعة التاسعة مساءً. سأعيد قراءة ما كتبتة مرة واحدة ثم أحرزه وأضعه في حقيبتي لكي أسلمه في الغد».

طريقة ثالثة لمعالجة مسألة السعي للكمال هي محاولة الاهتمام بجميع الأمور: أي تحقيق أداء حسن في أشياء كثيرة وليس تحقيق الكمال في شيء واحد أو شيئين. غير أن عليك أن تدرك بأنه من الصعب على الطلاب الذين يظهرون موهبة في مادة أو اثنتين أن يحققوا نتائج مرتفعة في مختلف المواد.

ختاماً، يمكن التخفيف من سعي ابنك لتحقيق الكمال ببحثه على تحقيق المزيد من الموازنة في جوانب حياته جميعاً، وهذا يعني أن عليه أن يدرك بأن الحياة هي أكبر من علامة كاملة في الرياضيات مثلاً. ما ينقص من ينشدون الكمال بشكل أساسي هو افتقارهم للموازنة بين الأمور.

الموازنة بين التحديات والمهارات

أظهرت أبحاث علم النفس التعليمي والرياضي أن الناس يلتزمون أكثر ما يلتزمون بالأعمال التي يرتفع فيها مستوى مهاراتهم إلى مستوى التحدي الذي يواجههم في هذه الأعمال - وربما كان التزامهم أكبر إن كان مستوى التحدي أعلى بقليل من مستوى ما لديهم من مهارات. يطلق بعض علماء النفس على ذلك مسمى «نطاق التطور القريب»، بينما يطلق عليه علماء نفس آخرون مسمى «الانسياب».

عندما يكون الطلاب في هذا «النطاق» أو «الانسياب» فإنهم يكونون مستغرقين تماماً في أعمالهم المدرسية ولا يشغلون أذهانهم بمقارنة أنفسهم مع الآخرين أو كيف سيتم تقييمهم. وهم يؤدون عملهم بفعالية حقيقية ويركزون كلياً على عملية التعلم.

لهذا الأمر مضامين مباشرة فيما يتعلق بالطلاب النوابع والموهوبين الذين كثيراً ما يبدو عدم الالتزام أو عدم الاستغراق في المهمات المطلوبة منهم، وتشغل أذهانهم قضية مقارنتهم بآخرين وكيفية تقييم الآخرين لهم كأشخاص.

يكنم الجواب في هذه الحالة في الاختيار الدقيق لمستوى ونمط العمل بحيث يحقق التوازن الكلي بين التحدي والمهارة المطلوبة.

في الرسم التخطيطي التالي يمكنك ملاحظة نتائج إيجاد التوازن الصحيح ونتائج الوصول إلى توازن خاطيء.

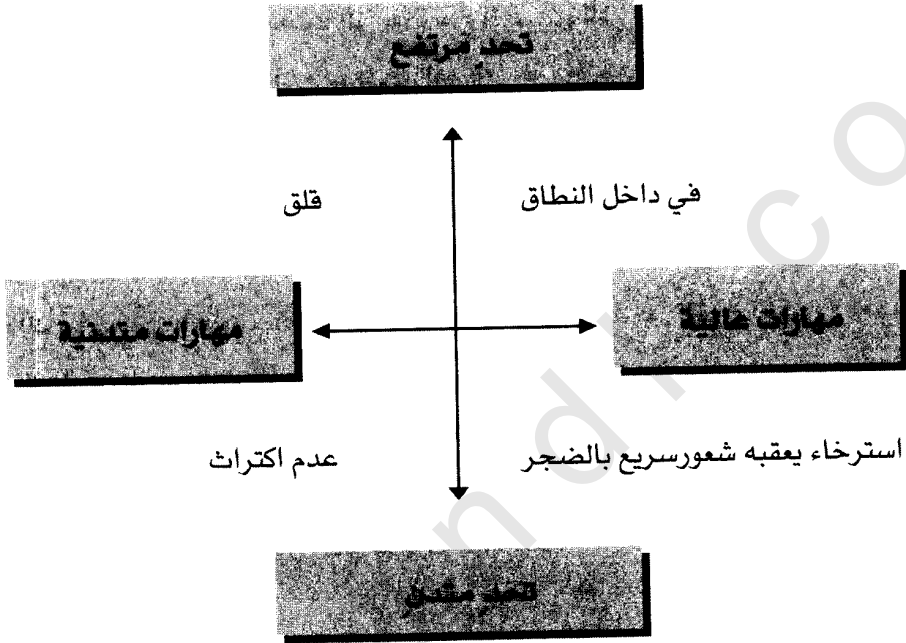
وكما يتضح لك فإن الطلاب ضمن «النطاق» أو «الانسياب» يظهرون استغراقاً واهتماماً كاملاً عندما يكون مستوى التحدي متساوياً مع مستوى مهاراتهم أو أعلى من مستوى هذه المهارات بقليل. أما عندما يتجاوز مستوى التحدي مستوى مهاراتهم بهامش أكبر بكثير مما يجب فإنهم يقعون تحت عبء الشعور بالقلق، إذ يخافون من أنهم لن يكونوا بمستوى مواجهة هذا التحدي. أما عندما يكون مستوى مهاراتهم متدنياً والتحدي متدنٍ أيضاً فإنهم يكونون في حالة عدم مبالاة. فليس هناك تحدٍ حقيقي وإذا كان هناك من تحدٍ فإنهم ليسوا في مستوى مواجهته.

عندما يتجاوز مستوى المهارات مستوى التحدي يشعر الطلاب من ذوي المهارات العالية بالاسترخاء أولاً، غير أن هذا الاسترخاء ما يلبث أن يتحول إلى حالة من الضجر والملل، وهذه هي الحالة التي يقع فيها الطلاب النوابع والموهوبون في الكثير من الأحيان. من الأمور الأساسية أن تقدم للطلاب التحديات التي تتناسب مع مهاراتهم، على أن يرافق هذا التحدي إحساس معقول بالإيمان بالذات وبالقدرة على التحكم بالأمور. وعندما يتوفر لدى الطالب الإيمان بالقدرة على النجاح وعلى

التحكم بالأمر فإنه يثبت أنه قادر على تحقيق ذلك النجاح. ومع وجود تحدٍ يستحق المواجهة يجد الطلاب النواذب والموهوبون أنفسهم في وضع مثالي لمواجهة هذه المهمة. ولقد توصلت الأبحاث إلى عدد من الوسائل التي يمكن من خلالها توسيع قدرات الطلاب بحيث يتلاءم مستوى التحدي بصورة منتظمة مع مستوى مهارات هؤلاء الطلاب.

أود هنا أن أتحدث عن أحد تلك السبل التي أعتقد أنها فعالة بصورة خاصة في توسيع مهارات الطلاب الفكرية وتطوير نشاطاتهم القائمة على التحدي. ويشمل ذلك ما يسمى بأسلوب «تصنيف بلوم». ففي الخمسينات من القرن العشرين حدد «بنجامين بلوم» Benjamine Bloom، وهو أخصائي في قضايا التعليم، ستة مستويات للتفكير حيث أن كل مستوى منها يزيد في مستواه وفي تعقيده قليلاً عن مستوى وتعقيد المستوى الذي يسبقه. وقد أوضحنا هذه المستويات مع إيراد وصف موجز لكل منها في الجدول الذي سنورده فيما بعد.

المواءمة بين التحدي والمهارات



وكما ترى في هذا الجدول فإن تصنيف «بلوم» هو أسلوب عظيم للتعرف على موقع ابنك، وفي أي اتجاه يسير. تكمن قوة هذا التصنيف في أنه من الممكن تحويله إلى العديد من سمات العمل المدرسي لابنك وللعديد من جوانب حياته. والمثال الذي يشير إليه الجدول حول الحرب البيلو بونيزية* هو أحد السبل التي تبين كيف يمكن الكشف عن أفكار طالب ما بهدف نقله باستمرار إلى المستوى التالي من مستويات التفكير. وهو أيضاً سبيل جيد آخر تعرف من خلاله فيما إن كنت تقدم لابنك تحدياً يتجاوز قدراته. فإن كان ابنك مثلاً لا يعرف حقائق هذه الحرب فلن يكون من الإنصاف حينذاك أن تتوقع منه تحليل مضامين تلك الحرب ومزج عواملها. عليك عوضاً عن ذلك أن تتأكد من معرفته لكل الحقائق والمعارف التي يحتاجها، وأن تعمل على إدراكه مضامين تلك الحقائق أو الأحداث وتحاول بعد ذلك تطبيق مدلولات هذا

* الحرب البيلوبونيزية: حرب قامت في اليونان القديمة بين مدينتي أثينا واسبارطة في جنوب اليونان بين عامي ٤٣١ و ٤٠٤ بل الميلاد.

الفهم على أمور أخرى. وما أن تتأكد من قدرته على القيام بهذه الخطوات الثلاث فسيكون مستعداً لإجراء عمليات التحليل والتركيب المطلوبة. ولقد استخدم العديدون من المدرسين هذا التصنيف بفعالية بهدف تطوير برامجهم التعليمية، لا بالنسبة للطلاب النوابغ والموهوبين فحسب بل مع الطلاب العاديين أيضاً وأولئك الذين يعانون من صعوبات في التعلم.

وجهة نظر الطلاب حول المنافسة

قد يعاني الطلاب النوابغ والموهوبون الذين يكون أداؤهم أدنى من قدراتهم من خوف شديد من المنافسة، حيث أنها تسفر عن رابحين وخاسرين. والطلاب النوابغ والموهوبون ممن يتدنى أداؤهم عن قدراتهم الفعلية يخافون الفشل نظراً لأنه يترك أثراً سلبية على هويتهم وعلى قيمتهم كطلاب متميزين. ولكن المنافسة ستظل قائمة بين الطلاب، ولذا فإن من المهم مساعدتهم على التعامل معها بصورة أكثر فعالية. لقد عالجتنا موضوع المنافسة بالتفصيل في الفصل السادس حيث ناقشت الاستراتيجيات التالية للتقليل من التركيز على روح المنافسة وتعزيز التركيز على مسألة التعلم:

- زيادة التأكيد على تقديم الطالب أفضل ما عنده.
- التقليل من مقارنة الطالب مع غيره من الطلاب.
- إثارة حب الاستطلاع لديه كلما أمكن ذلك
- تشجيع التعلم النشط.
- التعرف على مسار رحلة التعلم شأن التعرف على الهدف الذي تتوخى هذه الرحلة الوصول إليه.
- التركيز على الجهد والاستراتيجية أكثر من التركيز على الذكاء.

تصنيف بلوم، مثال		
مثال	الوصف	مستوى التفكير
تذكر أن الحرب البيلوبونيسية بدأت في عام ٤٣١ قبل الميلاد.	معرفة وتذكر الحقائق والأحداث.	١- المعرفة.
إبداء القدرة على وصف الأحداث الرئيسية بكلمات الطالب.	فهم الحقائق والأحداث	٢- الإدراك
التعرف على أن عدم توازن القوى بين دولتين، وهو أحد الأسباب الرئيسية للحرب البيلوبونيسية- كان أيضاً هو السبب في اندلاع بعض الحروب في القرن العشرين.	إبداء القدرة على تطبيق الفهم من وضعية إلى وضعية أخرى.	٣- التطبيق
فهم الحرب البيلوبونيسية بعمق كافٍ بحيث يتمكن الطالب من تقييم وتحليل الحروب التي قامت في القرن العشرين بالتفصيل.	فهم أمر ما بعمق كافٍ بحيث يمكن مقارنته مع جوانب الشبه والاختلاف مع أمر آخر، أو إبداء رأي في أمر آخر.	٤- التحليل
استخدام فكرة عدم توازن القوى كما تنعكس في التاريخ القديم واستغلال هذه الفكرة بصورة متقنة بهدف اقتراح مسارات بديلة لتطور الأحداث في أوضاع راهنة مثل اقتراح حلول ممكنة لإحلال السلام في الشرق الأوسط.	ابتداع أفكار جديدة أو فهم أو ابتداع تفسيرات جديدة بناءً على المستويات الأربع السالفة من التفكير.	٥- المزج
بعد اقتراح مسارات بديلة للعمل على إحلال السلام في الشرق الأوسط يمكن للطالب تقييم اقتراحه بتسليط نظرة نافذة على ما اقترحه والتعرف على احتمالات تطوير تفكيره واقتراح أنماط تفكير وتحليل لاستخدامها في المستقبل بحيث يتسنى تسهيل وضع أفكار الطالب موضع التطبيق.	إمعان النظر في المستويات الخمس السالفة من التفكير وتقييمها والحكم عليها.	٦- التقييم

علاوة على هذه الاستراتيجيات فقد اقترحت الأساليب التالية التي من شأنها أن تساعد ابنك على التعامل مع المنافسة بطريقة أفضل:

- شجع ابنك على أن يركز في منافسته على منافسة أدائه السابق أو على بذل أقصى ما في طاقته - فمن شأن ذلك الإبقاء على نشاطه وعلى تركيزه على مستواه بالذات بحيث يكون أداء الطالب هو المقياس الذي يقيس على أساسه مدى تقدمه.
 - شجع ابنك على النظر إلى الآخرين أثناء المنافسة كمصدر للإلهام له لكي يقدم أفضل ما عنده وليس على أساس كونهم أشخاصاً عليه أن يتغلب عليهم - فمن شأن ذلك أن يخلق جواً من المنافسة الودية ويقلل من أنماط المنافسة التي تتسم بالعنف وتثير خوفاً شديداً من الفشل.
 - عليك أن تشجع ابنك إن لم ينجح في المنافسة على النظر إلى ما قام به من مجهود (مدى الجهد الذي بذله) والاستراتيجية التي اتبعها (مهاراته في الدراسة، واستعداداته، وتخطيطه وما إلى ذلك) وليس إلى قدراته أو ذكائه باعتبارهما الوسيلة لتأمين أداء أفضل له في المرة القادمة - فمن شأن ذلك أن يحافظ على قدرته على التحكم بالأمر وأن يزيد من مقدار تفاؤله.
 - أوضح لابنك بجلالة أنه، إن لم ينجح في المنافسة فلن يقل ذلك من قيمته كشخص وأنت لن تعتبره أقل قيمة - فمن شأن ذلك أن يخفف من خوفه من الفشل في المنافسة.
 - إن لم يحسن ابنك الأداء في المنافسة فعليك أن تبين له كيف يمكنه استنباط الدروس والمفاهيم التي يتوجب عليه أن يستخدمها لتحسين أدائه في المرة القادمة - فمن شأن ذلك أيضاً أن يخفف من خوفه من الفشل.
- أظهرت الأبحاث بأن الطلاب النوابع والموهوبين الذين يتدنى مستوى أدائهم عن مستوى قدراتهم الفعلية قد يملكون خوف شديد من المنافسة حيث سيعتقدون بأنهم سيواجهون الفشل فيها. فهم يفضلون في هذه الحالة عدم الدخول في المنافسة

والمخاطرة بالفشل عن طريق عدم بذل المجهود الذي تتطلبه هذه المنافسة بدلاً من دخولها والمخاطرة بمواجهة الفشل بعد أن يكونوا قد بذلوا مجهوداً شاقاً استعداداً لها. ولهذا السبب فإن قضية المنافسة تنطبق أكثر ما تنطبق على الطلاب النوابغ والموهوبين ممن يكون أداؤهم أدنى من قدراتهم الفعلية.

المميزات التي يتمتع بها البالغون ممن يتجاوب معهم الطلاب النوابغ والموهوبون:

أكدت في هذا الكتاب تكراراً على أهمية إقامة العلاقات الحسنة مع الطلاب. ولقد أشرت من قبل بأنك، إن طورت علاقة حسنة مع ابنك فستكون قد قطعت نصف المسافة على طريق خلق الحوافز لديه. ينطبق هذا الأمر أيضاً على العلاقة مع الطلاب المتميزين والموهوبين أيضاً.

توصي الأبحاث الخاصة بتعليم الطلاب المتميزين والموهوبين بأن المميزات التالية لدى البالغين هي التي يتجاوب معها الطلاب النوابغ والموهوبون:

- احترام حقيقي للطلاب (يبرز الاحترام باستمرار كعامل هام بالنسبة لجميع الطلاب).
- حماس حقيقي لتعليم الطالب وتعلمه.
- رغبة شديدة لدى البالغين (من ذوي الطالب أو مدرسيه) بالتعلم طوال حياتهم بحيث يمثلون قدوة يقتدي الطالب بها.
- أسلوب أبوي يتسم بالمرونة يسمح للطلاب بممارسة أنماط مختلفة من النشاط وتعلم أمور مختلفة وبأساليب متعددة.
- توفر مهارات إصغاء نشط لدى البالغين لما يقوله الطالب.
- توفر معلومات لدى البالغين حول السمات الفردية والاحتياجات الخاصة للطلاب المتميزين والموهوبين، وتوفر الرغبة والقدرة على تلبية هذه الاحتياجات.

- توفر الرغبة لدى هؤلاء البالغين لتشجيع الطالب على الإقدام على المغامرة وتعليمه بأنه لا بأس بارتكاب الأخطاء التي يمكن اعتبارها نقطة انطلاق للنجاح في المستقبل.
- توفر القدرة على التعرف على نواحي القوة والضعف لدى الطالب وتشجيعه على تقبلهما كليهما دونما شعور بالحر.
- توفر الرغبة لتزويد الطالب بأفكار جديدة وتشجيعه على استكشاف هذه الأفكار.
- ابداء روح الدعابة من قبل البالغين فيما يتعلق بأخطائهم وأخطاء الطلاب.
- توفر الرغبة لدى البالغين للدفاع عن الطلاب النوايغ والموهوبين، على أن لا يؤدي ذلك إلى الإساءة لمدرسيهم أو السلطات التعليمية الأخرى أو إلى حرفية التعليم.

الحياة في عالم الواقع

- لا تحدث جميع الأمور في عالم الواقع كما تتحدث عنها الكتب، وإليك بعض الأمور التي يجدر بك التفكير بها وأنت تهضم ما قرأته في هذا الفصل:
- ركز الجانب الأكبر من هذا الفصل على تدني أداء الطلاب النوايغ والموهوبين دون مستوى قدراتهم الفعلية. ولا شك أن ما يركز عليه الفصل من مبادئ هامة إنما يتعلق أيضاً بمن لديهم الحوافز الكافية من الطلاب النوايغ والموهوبين.
- الطلاب النوايغ والموهوبون بشر أيضاً. والصاق صفة النبوغ أو الموهبة بهم قد ينزع عنهم صفة كونهم بشراً ويجعلهم يبدون وكأنهم أشياء وأنهم يختلفون عن غيرهم من الناس. لا شك بأنهم ليسوا كذلك، وكل ما في الأمر أنهم قادرون على الأداء بشكل أفضل من غيرهم في حقول معينة، وهم يظلون بحاجة للحب والدعم والمساندة والأصدقاء، ولإتاحة الفرصة لهم لارتكاب أخطاء دون أن ينتابهم شعور سيء نتيجة لذلك. علينا أن نتحدث عنهم كطلاب وأطفال أولاً لكي لا ننزع عنهم صفة كونهم بشراً.

● لسنا نستهدف من هذا الفصل المخصص للطلاب النوابغ والموهوبين التقليل من أهمية فئات أخرى استثنائية مثل الأطفال الذين يعانون من صعوبات في التعلم، أو من آفات في السمع أو البصر، أو أولئك الذين يعانون من آفات عقلية. كما أننا لا نستهدف الإيحاء بأن الأطفال النوابغ أو الموهوبين أفضل، أو يحتاجون إلى ما يتجاوز ما يحتاجه الأطفال الآخرون العاديون. أكرر القول بأن ما يدعو إليه هذا الفصل ينطبق على الأطفال جميعاً، بل يمكننا القول أن الأطفال المتميزين والموهوبين الذين تحدثنا عنهم في هذا الفصل إنما يمكن اعتبارهم وكلاء عن جميع الأطفال غير العاديين.

● كثيراً ما يصادف أن يكون أحد أبنائك متميزاً أو موهوباً، بينما يكون الآخرون عاديين، بل وربما كانت لديهم مشكلات في التعلم. ومن المهم جداً أن يتم تقييم الأطفال جميعاً سواءً بسواء، بغض النظر عن نوعية أدائهم في المدرسة. ومن نافل القول أن نشير إلى أن المقارنة بين الأخوة هي أمر قاتل. فكل طفل نواحي قوة ونواحي أخرى يمكن تمييزها.

● لقد تجنبنا عمداً الحديث عن محاولة القفز من صف إلى آخر، وتجميع الطلاب على أساس قدراتهم، والمدارس التي تختار نوعية معينة من الطلاب وغيرها من مثل هذه المواضيع. فهذه مواضيع معقدة علمياً بأنني لم أتوصل إلى قناعات ثابتة بشأنها. وبالتالي فإن المعلومات التي يقدمها هذا الفصل إنما صممت بحيث تطبق على الطلاب النوابغ والموهوبين في أي بيئة تعليمية مهما كانت طبيعتها.

إيجاز للفصل:

العديد من القضايا الخاصة بخلق الحوافز تبرز لدى إجراء بحوث تخص الأطفال النوابغ والموهوبين. وتشير هذه الأبحاث إلى أن من الممكن تحقيق فوائد تحفيزية للطلاب النوابغ والموهوبين (ولذويهم) إذا ما أعيد النظر في الأفكار التي

يحملونها حول كونهم أذكاء ووضع المجهود في أجواء أكثر صحة وإيجابية، وإعادة النظر في مفهومهم بالنسبة للذكاء، ومناقشة خوفهم من الفشل وكذلك خوفهم من النجاح، وإقامة توازن جيد بين التحديات والمهارات. إن تناول بعض، أو معظم أو كل هذه العوامل إنما يضع ابنك النابغة أو الموهوب في وضع أقوى لتقديم أداءٍ موازٍ لما يتمتع به من قدرات.

على هؤلاء الطلاب ألا ينظروا إلى قدراتهم على أنها عبء عليهم، بل أن يعتبروا هذه القدرات كعوامل مثيرة تمدهم بالطاقة والقوة.

النقاط الخمس الرئيسية في الفصل الرابع عشر:

١- وجهات نظر الأطفال النوايغ والموهوبين حول بذل المجهود والذكاء قد تسبب مشكلات لهؤلاء الأطفال. يجب على هؤلاء أن يطوروا لأنفسهم نظرة صحيحة بالنسبة لبذل المجهود والذكاء بحيث يتوصلون إلى القناعة بأن بذلهم مجهوداً لا ينعكس سلباً على ذكائهم، وأنه يتوجب حتى على أكثر الطلاب ذكاءً، وعلى الأكاديميين كذلك أن يبذلوا قصارى جهودهم (وهذا ينطبق على الرياضيين المتميزين وكبار رجال الأعمال الخ...)، وأن الذكاء قابل للتحسن والتطور وأن نوعية الجهد تعادل في أهميتها أهمية كمية الجهد المبذول.

٢- الخوف من الفشل مشكلة شائعة بين الطلاب النوايغ والموهوبين، والسبيلان الأساسيان الفعالان لمعالجة هذه القضية هي بأن نبين لهؤلاء الطلاب بأن الأخطاء إنما تقدم معلومات هامة من شأنها إحداث تحسينات مستقبلية في أدائهم، وأن قيمتهم كأشخاص قيمة موجودة بغض النظر عن نوعية أدائهم في المدرسة.

٣- الخوف من النجاح مشكلة تنشأ في كثير من الأحيان عن تدني الإيمان بالذات أو الشعور بأن الشخص المتفوق إنما هو شخص متنكر أو مدّع لا بدّ أن «يُكشَف» عجزه يوماً ما. والسبيل الرئيسي للتخفيف من الخوف من النجاح إنما يكمن في التعرف على المطبات السلبية، وتطوير حديث أكثر إيجابية مع النفس، وتحدي التفكير السلبي بتقاؤل واقعي قائم على الحس السليم.

٤- إقامة التوازن الصحيح بين التحديات والمهارات هو أمر حيوي لدفع الطلاب النوايغ والموهوبين إلى الالتزام بإنجاز ما هو مطلوب منهم. وعدم تحقيق هذا التوازن السليم قد يؤدي إلى القلق واللامبالاة والضعف ويوفر تصنيف بلوم طريقة مفيدة من شأنها أن تقدم طريقة ناجعة لتقرير كيفية تقديم التحديات التي تتجاوز قليلاً مهارات الطالب.

٥- علاقة الطلاب النوايغ والموهوبين مع ذويهم ومدرسيهم علاقة مهمة شأن غيرهم من الطلاب، ويتم تطوير هذه العلاقة مع الطلاب النوايغ والموهوبين عن طريق الاحترام المتبادل، والمرونة، والإصغاء النشط لهم، والاهتمام الصادق بهم وانتهاج أسلوب يميل إلى الدعابة في مخاطبتهم وما إلى ذلك من أساليب.

الفصل الخامس عشر

الخلاصة والاستنتاجات

أشرت في بداية هذا الكتاب كما قد تذكر إلى أن من الأفضل لك أن تفعل أشياء قليلة بشكل متقن من أن تفعل أشياء كثيرة بصورة أقل إتقاناً. والمسألة هي كيف تختار أي الدوافع والكوابح والمثبطات التي ستركز عليها، وأي الاستراتيجيات تتبعها لدى التركيز على تلك الدوافع والكوابح والمثبطات.

اقتراحي الأول لدى النظر في الدوافع والكوابح والمثبطات هو العودة للاختبار السريع الذي أوردناه في الفصل الثاني حول التحفيز. من شأن هذا الاختبار أن يعطيك فكرة عن ناحية أو اثنتين من نواحي القوة أو من نواحي الضعف التي يجب أن تركز عليها لدى طفلك. أما اقتراحي الثاني فهو أن تتبع إحساسك الخاص. فإن قفز أمامك عدد من الدوافع والكوابح والمثبطات باعتبارها ذات شأن أو مفيدة بالنسبة لطفلك فهي إنما تمثل إشارات لما يجب عليك أن تركز عليه. أما اقتراحي الثالث فهو أن تطلع طفلك على الدوافع والكوابح والمثبطات (كما هي واردة في عجلة خلق الحوافز في الفصل الثاني) وأن تحدّثه عن كل منها، وربما تعملان معاً لاختيار بعضها بهدف التركيز عليها.

يقودنا هذا إلى السؤال التالي. فما أن تحدد عدداً من الدوافع والكوابح والمثبطات عليك أن تختار الاستراتيجيات الخاصة لمعالجتها. اقتراحي الخاص هو أن تتبع إحساسك أولاً، فإن وجدت أن هنالك عدداً من الاستراتيجيات التي تروق لك فإن ذلك سيكون مؤشراً حسناً يدلّك



على ما يتوجب عليك التركيز على أي منها، واقتراحي الثاني هو أن تتحدث مع طفلك حول الاستراتيجيات التي يمكنك تطبيقها، وربما تعلان معاً لتحديد أيها هو الأكثر فعالية.

ولكي أساعدك بعض الشيء على اختيار الاستراتيجيات التي ستستخدمها سأقدم لك ما اعتبره الاستراتيجيتين الرئيسيتين لكل واحد من الدوافع والمثبطات والكوابح، وكذلك استراتيجيتين هامتين لتعزيز علاقتك مع ابنك. غير أنني أود أن أشير قبل أن تبدأ بقراءتها أن اختياري للاستراتيجيتين الرئيسيتين إنما بني على إحساسي الخاص أنا شخصياً – ولذا فإنني أقترح أن تتبع إحساسك أنت أيضاً إن كان لديك ما ترتاب به حيث أنك أنت من يعرف ابنك ولست أنا.

فيما يتعلق بالإيمان بالذات أقترح أن تركز على التجزئة – أي تقسيم العمل المدرسي إلى أجزاء قابلة للابتلاع، واعتبار إتمام كل جزء منها بمثابة جزء من النجاح. كما أقترح معالجة التفكير السلبي لدى طفلك عن طريق تحديد متطلبات التفكير السلبي التي قد يقع فيها ابنك، وتحدي التفكير السلبي عن طريق مخاطبة أكثر إيجابية مع النفس وتطوير الشعور بالتفاؤل الواقعي.

لتعزيز إحساس طفلك بقدرته على التحكم بالأمر أقترح تشجيعه على التركيز أكثر فأكثر على العوامل التي يستطيع التحكم بها – بما فيها الجهد (مقدار العمل الذي يقوم به) والاستراتيجية (نوعية ذلك العمل). أما اقتراحي الثاني فهو يقوم على تزويد ابنك بالملاحظات الارتجاعية حول ما فعله. ويشمل ذلك تقديم معلومات له حول أساليب تحسين أدائه.

فيما يتعلق بإيمان الطالب بقيمة المدرسة أعتقد أن من المهم ربط ما يتعلمه في المدرسة بحياته، وبالعالم عامة والأعمال التي سيقوم بها بعد أن ينتهي من دراسته. كما أقترح لفت انتباه الطلاب باستمرار إلى المهارات التي يتمكنون من تطويرها في

المدرسة والتي تعتبر هامة ومفيدة لجوانب عديدة من حياتهم. هنالك ثلاث مهارات هامة يطورها الطلاب في المدرسة، وهي المهارات الاجتماعية، ومهارات التفكير ومهارات صنع القرار.

لتعزيز تركيز الطلاب على التعلّم من المهم التأكيد على مسار العملية التعليمية شأن تركيزك على النتيجة أو أكثر مما تركز على النتيجة. وهذا يعني إدراك أهمية تطوير المهارات، وتقديم الطالب أفضل ما عنده، وتعلم أشياء جديدة، وحل المشكلات، والتقليل من المقارنات مع الطلاب الآخرين.

اقتراحي الثاني يقوم على إثارة حب الاستطلاع لدى الطالب بقدر الإمكان. فحب الاستطلاع هو أفضل سبيل للتركيز على التعلم.

يتطلب بناء قدرة طفلك على المثابرة التحديد الفعال للأهداف التي يرجو تحقيقها بحيث تكون هذه الأهداف فعالة، وقابلة للتحقيق، ويمكن تصديقها، وواضحة، ومرغوب بها. كما أقترح تعزيز قدرة الطالب على المثابرة بالاعتماد على تذكر تحديات سابقة واجهها الطالب من قبل، وتقصي السبل التي اتبعها حينذاك بدقة للتغلب على تلك التحديات وكيفية استخدام الدروس المستفادة من تلك التجربة السابقة لمساعدة ابنك على مواجهة التحديات الراهنة، أو التي ستواجهه في المستقبل.

يتحقق التخطيط الفعال عن طريق تجزئة الأعمال المدرسية، ومن ثمّ مراقبة مدى تقدم الطالب في كل جزء من هذه الأجزاء. ويتم تعزيز هذه المراقبة بتشجيع استراتيجيات للتدقيق في العمل مثل إعادة قراءة السؤال قبل القفز والاندفاع للإجابة، وإعادة النظر من جديد في السؤال الذي يضمه الاختبار أو الامتحان أثناء كتابة الجواب، وربما إعادة التدقيق في الإجابة قبل الانتقال إلى السؤال التالي.

يتعزز أسلوب ابنك في التعامل مع دراسته بوضع جدول فعال وواقعي لدراسته والعمل بموجب هذا البرنامج ضمن ظروف تسمح له بالتركيز الأمثل. سبيل ثانٍ لتعزيز أسلوب تعامل الطالب مع دراسته إنما يتم بانتهاج مهارات عامة فعالة مثل تحديد أولوياته، وإدارة وقته، والقيام بمهام متعددة في الوقت نفسه بالإضافة إلى الاستعداد والتنظيم.

يتم تخفيف قلق الطالب عن طريق تطوير أسلوب فعال للاسترخاء يساعده على مواجهة ما يشغل ذهنه (ويتراوح ذلك بين برنامج يقوم على التأمل وآخر يقوم على التمرينات الرياضية). ويمكن لابنك أن يعالج موضوع القلق بفعالية أكبر بتطوير مهارات مخاطبة الذات تقوم على اختبارات تدريبية، وقراءة التعليمات بعناية، وفهم الأسئلة بصورة أفضل، والالتزام بما هو مطلوب أثناء الإجابة على الأسئلة، ومراجعة الإجابات للتأكد من صحتها ووضع مخطط سريع للمواضيع المطلوب كتابتها.

لمعالجة موضوع تجنب الفشل والتخريب على الذات أقترح أولاً أن تبين لابنك بأن الأخطاء إنما توفر له معلومات مهمة حول كيفية تحسين أدائه، ولا تعني أنه في وضع يدعو لليأس، أو أن لا فائدة تُرجى منه ولا مجال أمامه للمحاولة في المرة القادمة. وأقترح ثانياً تخفيف العلاقة بين إنجازات ابنك وبين قيمته كشخص، عليك أن توضح لابنك بكل جلاء بأن قيمته كشخص ستظل قائمة ومحفوظة، ويجب ألا يتم الخلط بينها وبين إنجازاته.

ختاماً، تعتمد قدرتك على خلق حوار مع ابنك إلى حد كبير على علاقتك به. وإذا كان عليّ أن أختار عاملين يكمنان خلف أي علاقة صحية وسعيدة بينك وبين ابنك فأول ما أؤكد عليه هو أهمية احترامه وتقدير ما يفضله وما يضعه هو في موقع الأولوية في مدرسته وفي حياته عامة. الأمر الثاني الذي أؤكد عليه هو قدرتك على أن تضع نفسك في موضعه وأن تفهم دوافعه. هذان الأمران يشملان تقدير اهتمامات ابنك حق قدرها، والاستماع لما يقوله ودعمه باستمرار لما هو عليه.

سألني أحد الصحفيين مرة متى أعتبر أن الوقت قد فات على مساعدة الطفل، وفي أي مرحلة أعتقد بأنه من غير المجدي خلق الحوافز لديه. أدهشني هذا السؤال وإن كنت أظنه سؤالاً قائماً ومعقولاً. أجبت على السؤال برواية قصة عن مركز شباب زرتة مرة ضمن نطاق الأبحاث التي كنت أتولى إجرائها. كان هذا المركز قد وُصف لي بأنه يقوم بعمل حسن مع الشبان المشردين. لم يكن يوفر المأوى لهؤلاء الشبان بل يحاول أن يوفر لهم نوعاً من التعليم والتدريب. قابلت مدير المركز الذي حدثني عن الأمور العظيمة التي يقومون بها في المركز، ومدى الفائدة التي يجنيها الشبان من برنامجه. وبينما كان يتحدث وقفت سيارة إسعاف خارج المبنى واندفع مساعدون طبيون لحمل فتى على نقالة إلى سيارة إسعاف، ثم دخلت فتاة إلى المكتب لتبلغ المدير أن الفتى أخذ جرعة فائضة من العقاقير. عاد المدير لاستكمال المقابلة بعد أن استفسر من المساعدين الطبيين الذين أشاروا بأن الفتى سيكون في حالة جيدة. بدا عليّ الارتباك حينذاك مما أوحى بأنني لم أعد أعرف كيف سأمضي في المقابلة (هل أظواهر بأن شيئاً لم يحدث؟ هل أتحديث عن الموقف بشكل صريح؟) وحينذاك سألني المدير، ربما ليساعدني: «أين تظن أن هذا الفتى كان سيذهب لو أنه لم يلجأ إلى مركزنا؟ كان الجواب واضحاً: «إلى الشارع، وبعد ذلك إلى المقبرة إن لم يتواجد في مكان لا يتوفر فيه من يستدعي سيارة إسعاف إن تم العثور عليه وقد أفرط في تناول العقاقير».

لست أوحى بأن وضع ابنك صعب شأن هذا الفتى، ولكنني واثق كل الثقة بأنه قد يدفعك في بعض الأحيان إلى الاعتقاد بأنك لا تستطيع التأثير عليه، أو قد تشعر بأنه ليس أمامك إلا الاستسلام. قلت للصحفي بأن الدرس الذي تعلمته من تجربتي مع ذلك المركز بأننا، وإن كنا لن نحقق ذلك التأثير الكبير المباشر والفوري الذي نرغب بتحقيقه فإن بإمكاننا أن نلعب دوراً هاماً في الإبقاء على التزام أبنائنا بما يتوجب عليهم عمله، وفي الحفاظ على صحتهم العقلية، وعلى تقبلهم لأية فرص تسنح لهم، وعلى مساندة الآخرين للأطفال في مختلف مراحل

حياتهم مثل الموجهين، والمدرسين، والمدراء، والمربين والأصدقاء. وقد قلت للصحفي أيضاً بأنني رأيت الكثير من الحالات الصعبة التي أمكن معالجتها بسبب وجود أو تطوير علاقات صادقة ومساندة للطفل. وهذا الأمر يقودنا إلى الاستنتاج بأن من غير المعقول أن نرفع أيدينا يأساً واستسلاماً في حالة أي طفل مهما كان وضعه.

هنالك من الأسباب الكثير مما يدفعك إلى التفاؤل بالنسبة لابنك، حيث أن التحفيز أمر قابل للتعلم، والاستراتيجيات التي يقدمها هذا الكتاب تبين العديد من السبل التي يمكن عن طريقها تحقيق ذلك. ويمكنك أن تخلق لدى ابنك المزيد من الحوافز وأن تضعه في موضع أقوى لتحقيق كل ما هو قادر عليه، وذلك عن طريق توفير فرص أكبر للنجاح، والتركيز على العوامل التي يمكن التحكم بها في حياة ابنك، وتحقيق تركيز أكبر على التعلم، وتخفيف الخوف من الإخفاق، وتطوير مهارات تعلم أكثر فعالية، وتخفيض مستويات القلق، والإيمان بقيمة المدرسة، وإقامة علاقة إيجابية ومساندة بين الآباء والأبناء.

يمكن للأبناء أن يتعلموا التفكير بشكل مختلف حول أنفسهم وقدراتهم، كما يمكن للطلاب تطوير مواقف أكثر إيجابية إزاء المدرسة والأعمال المدرسية. كما يمكن للطلاب تطوير أنماط سلوك واستراتيجيات أكثر فعالية فيما يتعلق بدراساتهم. يلعب الآباء والأمهات دوراً فاعلاً في تفكير أبنائهم ومواقفهم وسلوكهم. وإذا كان كل هذا صحيحاً - وهذا ما تظهره الأبحاث - فإن من الممكن زيادة وتدعيم الحوافز لدى ابنك، ولا شك بأن لك دوراً خاصاً تلعبه في هذا الصدد.

أرجو لك ولابنك كل التوفيق والنجاح